قُبلة الوداع

الناشر

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي

سماح الجمال

إشراف فني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

أحمد صادق

التصميم الداخلي

محمد عبدالفتاح

دار النخبة

33 شارع السنترال - الحي الأول -

مدينة الشيخ زيد - الجيزة - مصر

تليفون: 38511969 - 00202

01288688875 - 002

E-mail: alnokhoba@gmail.com

قُبلة الوداع

تأليف - منى حسين

عدد الصفحات: 106

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 16200 /2017

ISBN: 978-977-838-002-6

قُبلة الوداع

مجموعة قصصية

منى حسين

إهداء...

إلى كل من بصدره قلب يبحث عن الحُب... إن وجدته فلا تتركه يرحل، لأن الحياة بلا حُب ليست حياة...

حافظوا على قلوبكم غضة ولا تتركوها تهرم وتموت، ارووها بنبض الحب لتزهر لكم حياة كجنة فيحاء...

لا تحرموا قلوبكم من الحب. ربما لا تجدوه غدًا،

MH

لحظة اعتذار

آويت إلى فراشي، بعد قضاء عدة ساعات في أداء بعض الأعمال المنزلية، وغفوت، فإذا بي أرى أنني في عملي، وأرى حبيبي يدخل في مكتب مقابل لمكتبي، وكنت أرقبه، وكان من فضولي، أن ذهبت لهذا المكتب، لكنني رأيته مسجيًّا على الأرض مغمض العينين.

تساءلت إنه نائم ام ماذا؟

نهضت من نومي والقلق يساور قلبي، ماذا به؟ أهو مريض، أم ماذا؟

لم أهدأ ولكن ماذا أفعل؟!، إننا متخاصمان، لقد قطعت كل الطرق بيني وبينه، ففي آخر مرة قرّرنا أن نلتقي وحالت ظروفي دون اللقاء، أرسلت له رسالة مفادها أنني لن أستطيع لقاءه، لكني أعرف ردود أفعاله المبالغ فيها، ونبرات صوته التي تتحوّل إلى صراخ يؤلمني، وأنا بطبيعتي لا أحتمله.

تردّدت كثيرًا في محادثته، وأجّلت الحوار حتى يهدأ، لكني دائما مشغولة، فأنا الطبيبة وعضو هيئة التدريس، لا يكفيني الأربع وعشرون ساعة في اليوم عمل، لا أعرف كيف تمرُّ أيام الأسبوع وكيف يمرُّ الوقت بهذه السرعة، وعندما أخلو بعض

الوقت لمتابعة حسابي على الفيس بوك نادرًا ما كنت أراه «أون لاين»، إلى أن وجدته، فبدأت الحوار معه:

صباح الخير – أعتذر، حالت الظروف دون حضوري

وكرّرت بالإنجليزية طالبةً الصفح والغفران

وتساءلت لِم هذا الصمت، حاولت بما لديّ من كلمات، فبهتني بردودٍ مقتضبة ولوم:

_أهم حاجة الاحترام – أنت لم تحترمي ميعادي

_أنا أعلم أنى أخطأت لكن رغمًا عني، لكني تأخّرت في الاعتذار.

..كان قاسيًا في ردوده، حاولت معه، إلا أنه فاجأني بقراره «أن الكلام قد مات »، وكان بإمكاني أن أعلن أني قادمة إليه.

لكنى كنت قد سئمت صراخه وعناده فانتهزت الفرصة لإغلاق الباب، فكرّرت «الكلام مات حتى لم ينتهِ»، إنك توصد الباب بوجهي، وأنهيت الحديث عقب إعلانه، في تلك اللحظة قرّرت إنهاء علاقتي به.

لكني لم أستطع نزعه من قلبي، فكنت أطمئن عليه بين الحين والحين بأن أتابع صفحته على الفيس، ووجدته قد نشر «فيديو» وكأنه عراك بين سيدتين بأسلوب ركيك، وأنا بطبيعتي أرفض الشعبيات أو الحوارات المبتذلة، فأحسست أنه يقصدني أو يهينني، فبادرت بإلغاء صداقته على الفيس، وأوصدت الباب، وبقلبي حسرة.

لِم أحببت؟ فأنا دائمًا أعيش بعقلي، كيف نفذ إلى قلبي وأدمَى مشاعري، أشقاني بعد هدوء نعمت به طول حياتي، حتى وأنا أخرجه من حياتي كأني أنتزع قلبي من صدري، آلام ما بعدها ألام.

الحزن يعتصرني لكن كرامتي وكبريائي يمنعاني من أن أتوجع أو أئن، وإن ظهر الحزن على ملامحي وتصرفاتي، حتى أني تأكدت أن للحب شقاء كما عرفت من قبل من حكايات صديقاتي، لكنه القدر، لم أسمع من الأخريات عن عذاب للحب كهذا الذي أراه، لكنني اليوم أعيشه وأعاني منه، أنا لا أقبل من أي إنسان أن يمسّني بكلمة تؤذيني أو تؤلمني.

مرّت ثلاثة شهور وأنا أراه و أرقبه من بعيد، وفي كل مرّة أصبّر نفسي، وأحاول إقناعها أن قراري كان صائبًا وأنني فعلت الأفضل، وأنا ليس لديّ وقت له فحياتي مزدحمة بما أقوم به من أدوار في عملي وفي بيتي.

ولاحظت أنه مسح الفيديو الذي نشره، وكأنه اعتذار، لكنه لم يتّصل بي، وكعادتي أتابعه لأعرف أخباره، وأطمئن عليه، حتى بعد أن أخرجته من حياتي.

لكن بعد هذا الحلم لم أستطع إنفاذ قراري؛ فعاد قلبي ينادى ويعلن الحب، اطمئني عليه، إنه في كل مرّة حين تغضبي يبادر ويصالحك، وإن كان حريصًا على ألّا يخطئ حتى لا يعتذر، لكنه يراعيني ويحرص على إرضائي، كفاكِ عنادًا، هاتفيه،

ولا تطيلي الحديث، فقط للاطمئنان، صراع بين عقلي وقلبي، واستجاب عقلي لقلبي أخيرًا، واتّصلت به:

- صباح الخير

صباح الخير

- كيف حالك

بخير

- وأخبار صحتك

الحمد لله – فقط مررت بوعكة صحية، والآن أنا أفضل

- وأخبارك في العموم

الحمد لله

لماذا لم تحدثيني طيلة هذه الشهور؟

- أبدًا ظروف

- وبادرني كعادته: أنتِ في الكافيه؟

فأجبت: لا، لا أستطيع الذهاب إلى هناك دونك

ممكن أن أراكِ؟

- ممكن لكن ليس اليوم..

- ممكن غدًا

سأنتظرك غدًا في موعدنا

- إن شاء الله

وأغلقت هاتفي، ونسيت فترات الجفاء والبعد، كأنه أعادني للحياة، فارتسمت على وجهي علامات الفرح والسعادة سأراه غدًا، سيعوضني عن الحزن فرحًا، إنه سامحني، ولم يطُل العتاب، لقد غفر.

لم أستطع إخفاء فرحتي، فقد زالت غيمتي، وتبدّلت بإشراقةٍ وابتسامة، تبدل حالي تمامًا، لكني يجب أن أستعد للقائه، بعد غياب،

ماذا سأرتدي؟ أهو الفستان الأحمر، أم التايّير البني، لا لن ألبس لونا غامقًا، أريد لونًا آخر، سأرتدي فستاني الأبيض.

وحان موعد اللقاء، لكن الظروف عاندتني؛ فالشوارع مزدحمة، والمرور متأزِّم، لا أريد أن أغضبه.

هاتفته: أنا قادمة لكنه الزحام.

وأجابنى: «أنا في انتظارك».

عدت أنظر في ساعتي، والقلق كسا وجهي حمرة، لا أعرف أهو خجل البنات أم هو الحب وفرحتي بلقائه، أم أنني أشتاق لرؤيته لأكبر وقت ممكن، ضاعت أكثر من ساعة محسوبة من لقائنا.

أخيرًا وصلت، فاستقبلني بحفاوة كعادته، ووصفني بأنني كعروس في ليلة زفافها بفستاني الأبيض وبأناقتي، ينقصني تاج الملكة. ودعاني لتناول النسكافيه كما اعتدنا معا

لكنى مازلت متوترة ماذا بعد الإعجاب، أيلومني أم ينسى، وكان قلقي له جذور فأنا أعرفه جيدا «صريح إلى أبعد مدى لا يتردد في كلامه وأنا أحب هذا فيه لا يعرف المواراة»، فبدأ بنصب محكمته،

لِم لم تحضري؟ لماذا لم تعتذري في وقتها أو حتى في نفس اليوم؟ أنا أحترمك وأقدّرك، وألغي مواعيدي لأجلك، أنتِ أهم ما في حياتي، إنك لا تحبيني -

وأجبته: «إن لم أكن أحبك لِم أتيت» صدّقني غصب عنى.

لكن كان يجب عليكِ الاعتذار في حينها، واعتذار مناسب، أمّا ما حدث فهو عدم احترام، أو استهانة أو رفض لشخصي، أترين أنني أقلّ منك؟

لا أبدًا بالعكس، أنا أحبك وأحترمك، لكني أخاف ردّ فعلك، لا أحتمله، حتى رفع الصوت في العتاب يؤلمني، من فضلك الناس حولنا، لا تشوّه هذه الصورة الجميلة، حافظ عليّ وعلى مظهرنا، هدّئ من روعك ومن صوتك، لِم كل هذا؟!

أنتِ لا تعرفين ماذا فعلت لأجلك، لقد ألغيت كل مواعيدي، أنا خفت أن أتأخر عليكِ، وأنتِ تعلمين أنا أسهر لوقت متأخر من الليل، أنا لم أنم لأجلك، لحرصي على الالتزام بميعادك.

حبيبي أنا آسفة.

وبعدها تغلقين الباب وتلغين صداقتنا على الفيس، لماذا فعلتِ هذا؟ كان الأجدر بكِ أن تتركي الباب مواربًا.

من فضلك كفي، هذا ليس عتاب، إنه حساب كفاك جلدًا، كفاك، عموما أنا اطمأننت عليك.

ونهضت لأتركه وأغادر المكان، فسارع بالاتجاه نحوي.

أنا فقط أردت إخبارك لو أنا الذي قصّرت، ولم أحضر في ميعادي، ماذا كنتِ ستفعلين؟ أكيد كنت ستغضبي، أكيد، إذًا اعترفي إنك أخطأتِ.

وتسامحني وتغفر، أعترف، أنا أخطأت، ماذا بعد؟!، يرضيك هذا؟

لا ليس كافيًا

ماذا أفعل أيضًا؟

قبّلي رأسي، حقي

أهذا هو الاعتذار

نعم

وتصمت وتكفُّ عن جلدي؟

نعم سأفعل

فنهضت من مكاني، فبادرني ونهض، واتّجه نحوي مسرعًا لم يقبل نظرة الانكسار بعيني، وراح يقبّل جبهتي، فأعاد لوجهي الابتسامة، وازدادت حُمرة وجنتيّ فرحًا وخجلًا؛ فقد نسينا أننا في كافيه وسط غرباء لا يفهمون ما دار بيننا من حوار، لكنها لحظة الاعتذار التي صفّق لها من حولنا، وانتبهنا وجلسنا معا بعد إيماءة منه لمن حولنا، وعلَت الابتسامة كل ملامحي، أخيرًا عاد لي حبيبي.

MH

قُبلة الوداع

حين أقبلْتُ عليه مستبشرةً، نهض من مكانه ليرحب بي، وطبع على جبيني قبلة، وقبّلت وجنتيه،

فابتسم: هل هذه قبلة؟ وابتسمت: نعم.

قال: لا

هذه قبلة لأختك أو خالتك أو صديقتك، واقتربَ بفمه من فمي

قلت:

- لا

وابتعدت وشفتاي تملؤها البسمة، ووجنتاي تلونتا بلون الخجل:

- سأعدّ لك الغداء أولا

- لكني أريدك أنت، اشتقت إليك

.. هكذا عوّدني زوجي أن يستقبلني عند عودتي من عملي إلى جنّتي وجنّته، إنْ سبقني إليها.

يشعرني أن المنزل دوني خاوٍ، وأنه يشتاق إليّ حتى وأنا بجانبه، يتحسّس أنفاسي، ويتابعها حتى يطمئن عليّ، كأنه يخاف أن يفتقدني، وأرى في عينيه وعدًا وقسمًا أنه لن يحيى إن غبتُ عنه، في كل يوم يزداد حبي له، ويزداد حبه لي.

بعد زواجنا بعام رزقنا بطفل جميل، كان ثالثنا وقرّة أعيننا، وكان زوجي ملاكنا الحارس، لكن بعد أن بلغ طفلنا عامه الثاني أُصيب بحمًّى ونقلناه إلى المشفي، وحاول الأطباء بكل الطرق علاجه، لكن أمر الله نفذ، وعُدنا أنا وهو إلى بيتٍ خلا من ضحكة ولدنا، ومن عبثه ولهوه، صمت بيتنا!.

لكننا فوجئنا في هذه الأجواء الحزينة بأنني حامل، كأن الله أرسل نعمته علينا ليصبرنا على ما ابتلانا به، رويدًا رويدًا حتى جاء موعد قدوم ابنتنا، طفلة بملامح الملائكة، وكانت إشراقتها علينا برزق وفير لي ولزوجي، فكلانا ترقّى بعمله، وزاد دخلنا، وانتقلنا إلى بيت جديد أرحب وأجمل، وهى تملأ بيتنا بهجة ومرح.

لكن القلق كان ينتابنا فقد اقتربت من إتمام عامها الثاني، وعشنا نفس المأساة، وبعدها ذهبنا إلى الطبيب، وأخبرنا أن هذا مرض نادر، لكنه تكرر في أبنائنا، لسبب ما لم يصل العلم له، وبالتالي لم يصل إلى علاج له!.

وقتها قرّرنا ألا ننجب، فأنا ابنته وزوجته وحبيبته، وهو ابني وزوجي وحبيبي، سنعيش معًا، ربما كتب الله لنا هذا، حتى لا يشغلنا الآخرون عن أنفسنا، ومن يومها ونحن لا نفترق، وقررنا أن نحيا وكأن الكون لنا فقط.

وبعد فترة خطّطنا لرحلة إلى أوروبا لقضاء إجازتنا الصيفية، أتممنا الإجراءات، وكانت وجهتنا باريس، وحين وصلنا إلى هناك، كأننا لم نرَ الدنيا من قبل، سعدنا في هذه الرحلة، وعشنا فوق عمرنا أعمارًا، كأننا عروسان في شهر العسل، و أخذنا من الدنيا أجمل ما فيها، وفي رحلة عودتنا ركبنا الطائرة، وبعد حوالي الساعة أعلن قائد الطائرة أن هناك عطلًا في الطائرة، وطالبنا بالالتزام بمقاعدنا.

فما فعلناه أنا وزوجي، أننا جلسنا وتعانقنا وقبّلني وقبّلته قبلة الوداع، ولا ندري ماذا حدث، فقد رحلنا معًا، نحن معًا كما تمنّينا، يحوطنا الحب الذي عشناه سويًّا.

MH

الجنة المزعومة

يحاجيني حبيبي حين أحادثه، إن قلت هذا يقول لا، وإنْ سألتُه لِمَ؟ يردُّ: ليس من اهتماماتي، أشعر كأنني أحدِّث طفلًا؛ فأضحك وتمتلئ أسارير وجهي بالابتسامة، وأكرِّر وأسأله عن شيءٍ آخر، وأتوقّع إجاباته؛ فتنفرط الضحكات من فمي كحبّات لؤلؤ، يراها ويضحك لضحكاتي.

هكذا كان حوارنا، إنْ غاب عني تبدّلت ضحكاتي إلى وجومٍ وعُبوسٍ وقلقٍ؛ فأبحث عنه؛ لأراه أو أسمع صوته.

هو حياتي التي يملؤها الحب والهدوء، أشتاق إليه، وأبعث بزهراتي إليه، ولو طلب لأرسلت إليه حياتي وأيامي؛ ليسعد بها.

معه أشعر أنني طفلة، أتمنّى ما يتمناه، أتمنّى ألّا يغيب عنّي ولو ثانية، حين يهاتفني كأنه فتح باب قلبي وسكن به، وكأنّ عيناي تحرسانه وتطبقان عليه بجفنيهما.

هو حبيبي وحياتي يعرف كيف يرضيني ويسعدني، يفعل ما بوسعه لينال منّي نظرة رضا أو حب، يعيرني عينه وأذنه.

يلاحقني بأسئلة يعرف إجابتها؛ ليرى منّي ردًّا على أسئلته، رفضًا أو إيجابًا أو استفهامًا، في كل طلب يطلبه مني؛ فاليوم يطلب منّي أن أعدَّ له غداءه، وغدًا يطلب منّي مصاحبته في الأماكن المختلفة، وفي كل يوم يحاول أن يقربني منه، ويعلن أنّني له وهو لي، ويتمنّى لو كنا معًا ليلَ نهار.

أنا أشعر بلهفته عليّ، وأتمنّى لو كان بين يديّ، لأبعد بيدى عنه حرارة الصيف وبرد الشتاء، وأسكنه قلبي كي أحميه من أي شيء يعكر صفوه.

حينما التقينا كنت أبني بيني وبينه جدارًا، وكلما وضعتُ حجرًا في هذا الجدار يهدمه، أشعر كأني لم أشيّدُ حاجزًا، ويزيد على هذا أن يقترب بخطوات مني، كثيرًا ما صدَدْتُه، لكنّه في كل مرة يقترب أكثر.

إلى أن وجدتُني على صدره، أبكي ندمًا على عمر ضيّعته في صدِّه.

جعلني طفلته المدلّلة، من يومها وأنا أحيا به وأعيش له، روحًا وجسدًا، وكل من حولي كأني لا أراهم، يكاد لا يدركهم عقلي، أضحك وحدي، ينظرون إليّ؛ أذكر أسبابًا ليست من بينها الحقيقة. لأننى لحظتها أتذكر حواراتنا معا فابتسم.

جميل حبيبي يعرف كيف يحاورني، كيف يخرج البسمة من شفتيّ، وكيف يوقظ أحاسيسي ومشاعري.

أخبرني أنه حين رآني أقسم أنّنا سنكون معًا إلى الأبد، وقد كتب لنا هذا اللقاء بدايةً لتعارفنا.

اليوم أُعلنها أنني مَن سعدتُ به، وأن لقاءنا كان لبث الروح في جسدي وقلبي، حين أحببتُه أحسست أن حياتي بدأت وما سبق من عمري لم يكن حياة.

اليوم أنا له وبه، فقد خلق منى كيانًا حيًّا؛ فأنا صنيعة يديه، وحبيبة قلبه، وهو كل حياتي؛ هو مَن وهبها لي، أيقظني بعد موت قد كنت أحسبه حياة.

تقدم لخطبتي، وبلا نقاشٍ أو تفكيرٍ وافقت؛ فهو حبيبي، لا يعنيني أي شيءٍ سواه، سأفعل ما يعجز عن فعله، لن أشعره بأيِّ تقصير منه في أي شيءٍ أريده، سأكون ملك يمينه، زوجته وحبيبته.

أعددْنا المنزل الذي سيضمّنا، الذي سيشهد على حبّنا، ستكون جدرانه جزءا منّا، نألفها وتألفنا، وتم زفافنا.

لم أكن أحلم بحياتنا، سوى أني سوف أجعل بيتنا جنة، سأنتظر حبيبي حين يعود من عمله بأبهى هيئة، وأعدُّ له ما يشتهيه من الوجبات، وبعدها أعانقه حتى يغوص في نوم عميق، وأُحكِم عليه الغطاء.

حين ينهض، ستكون جلستنا في الشُّرْفة، نحتسي الشاي معًا، ثم نخرج لنشاهد فيلمًا في السينما أو مسرحية، سيكون يومنا أربعًا وعشرين ساعة، سنذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في إحدى قرى الساحل الشمالي، إن كانت إجازة طويلة سنسافر إلى الشرق في الشتاء، وفي الصيف سنسافر إلى دول أوروبا أو أمريكا.

تمَّ زفافنا ودخلنا جنتنا، كانت إجازة زواجي حوالي الشهر، فقد كنت أدّخر أجازاتي لما بعد الزواج، أمّا حبيبي فكانت أجازته أسبوعين فقط قضينا معظمها في قرية بالساحل الشمالي، وكانت أيامنا حلما.

عدنا إلى جنّتنا، ونزل زوجي لعمله، كان يستيقظ حوالي الساعة السابعة صباحًا، وينزل الثامنة تقريبًا، ويعود في الثامنة مساءً، كنت أحاول جاهدة أن أحقّق ما حلمتُ به.

وبدأت مرحلة التنازلات عن أحلام كنت قد رسمتها لحياتي مع حبيبي، لم أحقق منها شيئا!!.

فالبرنامج تغير قليلًا؛ لم يعد ما نتناوله معًا غداءً بل عَشاء، وحبيبي بعده يجلس أمام التليفزيون، وتكاد عيناه تغفل بعد ما لا يزيد عن النصف ساعة، أتوحّشه وهو أمامي، وأصبّر نفسي بأنه أمامي، لكني أراعي مدى إجهاده، أصمت عن الكلام حتى تبدو عليه بوادر النوم؛ أصحبه إلى غرفتنا وأغطيه بما يدفئه.

أخرج؛ أكمل سهرتي أمام التليفزيون، وبعد فترة ألحق به، وأتنازل عن حلمي بأن أنام بين ذراعيه، وبعد انتهاء أجازتي عدت لعملي.

بدأ في استنفاذ الكثير من الوقت والجهد.، وأستكمل يومى بأعمالى المنزلية .

أما في أجازة نهاية الأسبوع، فكان يصحبني مرةً عند أسرته والأخرى عند أسرتي.

بدأنا حياتنا ببرنامج يتّفق مع ظروف ومواعيد عمله، وانتقلنا إلى برنامج آخر كله فروض، وإن كنت أرفض الكثير ممّا وصلنا إليه في كثير من الأحيان، لكنّ حبيبي يحاول جاهدًا ألّا يغضبني أو يغضب أحدًا من أسرته أو أسرتي، وأنا أراقبه.

لم يغضبني ولم يرضِني، لم يحقّق الحلم الذي حلمته، بعد عدّة شهور مررت بأزمة صحية وذهبنا إلى الطبيب، وبشّرني بأنني حامل، وانتظرنا قدومَ ما رزقنا الله به، وبدأت رحلة متابعة الحمل وزيارة الطبيب بشكل دوريّ.

غاب زوجي عن هذا المشهد في معظمه، وكانت أمي تصحبني للطبيب، وتساعدني في أداء أدواري المنزلية.

رويدًا رويدًا فتر حبي؛ ضاعت أحلامي التي رسمتها، وجنتي المزعومة؛ أصبح شريكي صورة من والدي، رجل شرقي تقليدي.

لكن.. هل أنا كوالدتي؟

كثيرًا ما مرَّ أمامي المشهد، لم أتقبّله أبدًا؛ فحاولت إقناع زوجي بأن نجلس سويًّا؛ لنضع تصوُّرًا آخر لمسار حياتنا، وكيف نفعل ما يقرّبنا، لأن مشوار حياتنا لن يكتمل بهذه الطريقة.

في أثناء حوارنا أحسست بآلام الوضع، وانتقلنا إلى المستشفى لأضع ابننا، وفي غمرة آلامي لاحظت وجوم حبيبي وحزنه وبكاءه على بكائي وإصراره على الدخول معي غرفة الولادة.

وبشّرني الطبيب بقدوم ابننا، ورأيتُ في أعين الممرضات نظرات سعادة بحبيبي، وحسد على حبه لي، لماذا لم أرَ هذه النظرات من قبل؟ لماذا كان يخفيها عني؟!

أهي دوامة الحياة التي أخذتنا وأبعدتنا؟!

كدت وسطَ صراخي وآلامي أن أعانقه وأخفّف عنه، إنه حبيبي الذي غاب عني شهورًا حسبتها دهرًا.

لم يعد الحب بيننا كلامًا بل أفعالًا، تظهره المواقف، أأفتعل المواقف لأرى حبه؟! أم يجب أن يشعرني هو بحبه، ألا يعرف كيف يعبر عن مشاعره؟ لا أريده قيسًا ولا عنترة، أريده فقط حبيبي، يشاركني وقتي، ويشعل في قلبي إحساسًا تجاهه، بدلًا من أن يفتر الحب بقلبي ويتجمّد ويموت؛ ونعيش بلا أحاسيس أو مشاعر.

MH

رحيل البسمة

حين ننتهي من أدوارنا التقليدية، في مراحل التعليم المختلفة وفي العمل، وحتى في حياتنا الخاصة، تزوجنا وأنجبنا وربينا وعلمنا وربما زوجنا أبناءنا، قمنا بكل الأدوار، لكننا مازلنا نحيى.

واليوم نشعر أننا بلا دور بلا فائدة، ليس هذا فقط بل نحتاج إلى من يرد لنا بعض الاهتمام الذي أوليناه لهم، فالآباء والأمهات ذهبوا، والأبناء كلٌّ في حياته يفعل مثلما فعلنا، ولا نستطيع إيقاف عجلة الزمن.

نبدأ هنا مرحلة عمريّة تتّسم بقلّة الأدوار، فزوجتي أصغر مني بحوالي عشر سنوات، أنا أقبع في المنزل وهي لها ما يلهيها ويشغل وقتها، ويدرُّ عليها دخلًا ماديًّا كبيرًا، وأنا ماذا أفعل بعد أن أحالوني للتقاعد وأنا مازلت قادرًا على العطاء، وأنا في منتصف عقدي السادس، بدافع تسريح العمالة في إطار الخصخصة.

أبحث عن أصدقاء عمري فقد بعدنا في رحلة الحياة، لكننا الآن نتواصل وهم يعانون ما أعاني منه، فنتواصل اليوم على كافيه، وبعد عدة أيام في النادي الاجتماعي، وبعدها عند صديق لنا، أنشأ مشروعًا ممّا تقاضاه من عمله كمكافأة نهاية الخدمة.

زوجتي كما هي لها عملها ودخلها المادي، وهي إلى جانب كل هذا لا تتخلّى عن أدوارها التقليدية، فهي من تقوم بأعباء المنزل، تكتفي بما أعطيه لها كمصروف للمنزل، وأعلم علم اليقين، أنها تكمل من راتبها، أعي هذا، لكني لا أعلن، فأنا كرجل شرقي لا أحب أن أعترف بأن زوجتي تساعد في الإنفاق على بيتي، لكني أرى وأفهم، أخاف نظرة عينيها التي تقول أنّني مثلك أدفع مثلما تدفع.

أنا رجل البيت، ولى سلطاتي ومتطلباتي، ودائمًا أبدًا لي كل الحقوق، وما أقوم به ليس واجبًا إنه مجرد مساعدة مني حين أخرج مع أصدقائي أراهم يفعلون هذا، فأفعل مثلهم، أشترى احتياجات المنزل وغالبا ما أهاتف زوجتي أنا في السوق، هل تحتاجين أي شيء؟ فتحدد احتياجاتها، وأحضرها عند عودتي.

الغريب أنها لا تسألني مع من ستذهب أو إلى أين؟، فقد أصبحتُ في نظرها ملك يمينها، وأصبحتْ لا ترغب فيّ ولا تغار عليّ، وإن كنت أبادلها في كثيرٍ من الأحيان نفس الشعور.

لكنى أحبها حبًّا جمًّا، فهي الجميلة الأنيقة، التي إن خرجنا معًا يعتقد الآخرون أنها ابنتي أو أختي الصغرى، فأغار عليها وأستشيط غضبًا، وأتمنّى لو لم تكن جميلة ورقيقة وعاقلة حتى لا تشتهيها الأعين والعقول حين تراها أو تحادثها، لكني أحبها كما هي، وفي كل يوم من عمري معها يزداد حبي لها، لكني لا أفصح، ولا أستطيع أن أبدي إعجابي بما ترتديه، أو بجمالها إلا فيما ندر.

حتى إذا وقفت لساعات في المطبخ لإعداد طعامنا، لا أقول شيئًا، حتى إذا تضايقت وسألت: ما رأيكم؟ أباغتها: طالما أننا نأكله فهذا يعنى أنه جيد؛ فتستشيط غضبًا، أو تضحك وتصمت، أو توبّخنا وهي باسمةٌ في أغلب الأوقات.

أعلم أنني بخيل في كلماتي وفي التعبير عن مشاعري وحتى في الإنفاق على زوجتي، فهى غالبًا أو في العموم لا تطلب مني أي شيء لا ملابس ولا غيرها، لا أكذبكم القول أنّ البخل أهم سماتي.

ولكن ما حدث في الشهور الأخيرة؟!، إنها قد أعلنت حالة من العصيان عليّ، نعم أنا مقصّرٌ وأعلم هذا، وهي على مدار عقود زواجنا تعرفني كما أنا، ماذا جّدَّ؟ أيكون هذا التغيير الذي طرأ عليها مرتبطًا بتقدُّمها في العمر؛ فقد قلت رغبتها فيّ، حتى أنها كثيرًا ما تنام في حجرة أخرى، استغنت عني، أعلم أنني لا أضمها لحضني حين تنام، فهي غالبا ما ترفض، أعلم أنها لو استطاعت أن تبنى جدارًا بيننا في الفراش حتى لا أمسّها ما ترددت.

لكن هذا طبعي معها منذ أن تزوجنا، لا أريدها أن تشعر أني بدونها لا أحيا ولا أنام، يمنعني كبريائي من أن أشعرها بهذا، لكني أرى في عينيها نظرة عتاب وأحيانًا حقد أو كره، لو شقّت عن قلبي لتراه يناديها ويودّ لو يعانقها ليل نهار، لكنّني كنت ومازلت مصرًّا على تحفُّظي في التعامل معها.

فقد وضعَتْ لحياتنا برنامجا يأتي على رأسه ألّا أمسّها في اليوم الذي ستخرج فيه للعمل أو مناسبة اجتماعية حتى لا تغتسل؛ وتخرج وتصاب بنزلة برد، واستجبت ولم أجادل، فقد حدث هذا أكثر من مرّة، وهي في مثل هذه الحالات تعاني كثيرًا وتذهب للطبيب عدة مرات، وحقيقة أكيد لها، موضحًا أنها ضعيفة، وأن دور البرد لا يحتاج للذهاب للطبيب، وأنا بداخلي أرى كم تعانى منه، وأبخل عليها حتى بالتعاطف معها، بل و أستهزئ بضعفها.

حياتي أصبحت فارغة وأعاني كثيرًا من هذا، وفي يوم من الأيام كنت في طريقي إلى النادي لألتقي أصدقائي، وركبت تاكسي، وفي نفس الوقت استوقفته سيدة في بداية الأربعينيات من عمرها، وكانت متّجهه إلى نفس النادي، فاستأذنني سائق التاكسي ووافقت.

وركبَتْ وحين وصلنا إلى النادي دخلت معي، وأكملت طريقها معي فلها صديقات في انتظارها، وما أن دققت النظر فيها تذكرت أنها ابنة جيراننا بسمة، لقد كبرت، وفهمت من كلامها أنها مطلّقة وليس لها أبناء، ومضت وتكتمل المصادفة أن صديقاتها تجلسن بجوار أصدقائي، وأمضينا وقتنا جماعة المتقاعدين، ورأيت ما تفعله هي وصديقاتها من ضحك ولهو، وقد افتقدت هذا في زوجتي التي نادرًا ما تبادلني الضحكات، وإن كانت ضحكاتها مع أبنائها وقفشاتها تملأ البيت، أمّا معي فهي تعاملني كمجندٍ يؤدي خدمته العسكرية لديها.

أعلم أنها خفيفة الدم، لكنى لا أعرف كيف ألعب كما تلعب هي بالحروف والكلمات، لكن المرأة التي أمامي الآن ترسل لي النظرات، وتحاول محاولات الأنثى في لفت النظر إليها، وأنا منشغل بحواراتي مع أصدقائي، لكن نظراتها تثيرني، وأنهينا لقاءنا وعدت إلى البيت.

وأنا أنظر لزوجتي وعيناي تقارنان بينها وبين الأخرى، امرأتي وقورة وأزياؤها تؤكّد هذا، أمّا من رأيتها صاحبة البنطلون الذي يصف جسمها، والشعر المنسدل على كتفيها، وكمٌّ المساحيق التي تضعها على وجهها، امرأتي أجمل دون مساحيق، لكنها تعاملني كما أعاملها، لا تثيرني فأنا زوجها، وأعرف حقوقي وأحصل عليها كاملة منها، لكن لكل مقامٍ مقال.

وفي موعد آخر مع أصدقائي رأيتها تجلس مع صديقاتها، إنها غالبًا لا تعمل، وجلسنا لعدة ساعات، وهممت بالانصراف، فأنا حريص على أن أنتظر زوجتي حين تعود من عملها، لأني أشتاق إليها، ولأن المنزل دونها بلا طعم أو رائحة، حتى ما أكله أثناء غيابها هو صنع يديها، كأنه يواسيني عن غيابها.

وفي هذا اليوم كنت ذاهبًا إلى النادي بسيارتي، وما إن ركبت سيارتي وهممت بإدارتها، حتى وجدت باب السيارة المقابل يفتح وتدخل بسمة وتسلّم عليّ وتستأذنني أن أوصلها معي، فدُهشت ولم أستطع الرد، وركبت بجانبي، احتلّت

مكان زوجتي «الذي كثيرًا ما تتنازل عنه لابننا أو ابنتنا وتجلس في الخلف، وكأنها تقول لي أنت سائق فقط، وتذهب بنا إلى المكان الذي نريده، ونضحك جميعًا، وأنفذ ما قالت.

أما هذه السيدة التي فرضت نفسها عليّ، سألتها: إلى أين؟ فقالت: إلى المكان الذي ركبنا فيه التاكسي معًا، إنه أمام منزلي وهو في طريقك، وكان وقت خروج الموظفين والمدارس، كانت الطرق مزدحمة جدًّا، فما قطعناه في أول مرة في ربع الساعة، اليوم تجاوزنا الساعة وأكثر فيه ومازلنا في منتصف الطريق، وطوال هذه الفترة لم تصمت بسمة عن الحديث، والسؤال عن حياتي العائلية وزوجتي وأبنائي.

لم تغادر السيارة إلّا بعد أن أخذت رقم جوّالي بادّعائها أن هناك مشكلة بهاتفها، وطلبت منى أن أطلبها ليظهر رقم هاتفي لديها.

ومساء ذات اليوم اتّصلت بي، وبدأتْ بالشكر على أني أوصلتها واعتذرَتْ عن الزحام الذي فرض عليّ مسارات مختلفة حتى منزلها، وأنا وجهي يتلوّن؛ فزوجتي تجلس بجانبي، وأنهيت المكالمة وزوجتي لا تعير أيّ اهتمامٍ لما حدث، وحمدت الله على هذا.

وفي صباح اليوم التالي اتّصلت بي بسمة، وسألتني:

- هل ستذهب إلى النادي اليوم؟

فأجبت:

- لا؛ لدى إرتباطات

وقالت:

- أنا سأذهب وحدي اليوم

- وصديقاتك يا بسمة؟

- امتحانات أبنائهم بدأت، وهن مشغولات هذه الفترة

وسيارتها في مركز للصيانة وتود لو ذهبت معها لاستلامها، والتأكد من الإصلاحات التي تمت بها، وبإلحاحها الغريب وجدتني أستجيب وأغيّر مساري وأذهب إلى منزلها، واتّصلت بها كي تنزل، وذهبت معها، وبنظرتي الفاحصة وجدت أن هناك أشياء لم يتم إصلاحها بالشكل الجيد، ووعدَنا المسئول بمركز الصيانة أنه سيكملها، وستكون جاهزة غدًا في نفس الموعد.

وبالتالي كان من المفروض على أن أعيدها إلى منزلها، لكنها في هذه المرة أصرت على أن أصعد معها لشقتها، وأبدت شكرها لما فعلته، موضحة أنه ليس من السهل اكتشاف ما اكتشفته من عيوب في إصلاح السيارة، لذا فإنها ترحب بي في منزلها.

ومع إلحاحها صعدت إلى شقتها، فوجدتها تعيش بمفردها، أجلستني وراحت تعدُّ لي العصير، ثم القهوة، واستأذنت في المغادرة، لكنها بدأت بالشكوى من الوحدة، وتمنّت لو تناولنا الغداء معًا، وفي وقت محدود بالفعل وجدت سفرة كاملة معدّة، حاولت الاعتذار لكنها عاملتني كطفلة وترجّتني أن أبقى معها، وبعد الغداء أعلنْتُ أنه يجب أن أنصرف.

فلديّ الكثير من الأعمال التي يجب أن أقوم بها، ولن أستطيع إتمامها اليوم، فقد ضاعت مني عدة ساعات، اعتذرت ولكنها ترجّتني أن أذهب معها غدًا لاستلام سيارتها ووعدتها.

وفي العاشرة مساءً اتّصلت ب لتؤكّد على ميعاد الغد، وتظاهرت أمام زوجتي أنى أحادث صديقًا، وعدتها، وكنت أمام منزلها حسب الاتّفاق، وذهبنا وفحصت سيارتها وتأكدت من إتمام إصلاحها وتسلمتها، وهممت بالانصراف بسيارتي، فإذا بها تترجّاني أن أتبعها إلى منزلها، وحاولت جاهدًا أن أعتذر، وأمام إلحاحها استجبت.

رجل في مثل عمري أصبح يعاني الفراغ القاتل والوحدة، يضعف أمام مثل هذه المُحايلات، وافقت وصعدت معها، وأعادت نفس السيناريو السابق كاملًا، لكنها ختمتها بقُبلة على وجنتي شكرًا منها على ما قمت به، هذا ما يفعله معي أبنائي، وهي أكبر من ابني بعدة سنوات، لكن قُبلتها تكرّرت ووصلت إلى شفتيّ، ويداها تحسّست صدري وجسدي ورأسي، لم تتركني، إلا بعد أن هممت بها.

سيدة شابة قوية الرغبة تهواني، وقد أعادتني إلى شقاوة الشباب، وما فعلته بها من مواعيد ولقاءات وغيرها أوقعني في المحظور، ماذا أفعل وزوجتي وأبنائي وبيتي، لكني أعلن أني في أمسِّ الاحتياج لمثل هذه السيدة، فهي تشبهني في ساعات الفراغ ربما هي أكثر مني، أنا دائما لديّ تكاليف زوجتي وأبنائي، أما هي فلا.

انتبهت لأجد أن يومي مرَّ كالأمس وربما أكثر، فهممت بالمغادرة، لكني رأيت بعينيها نظرات توشي بمدى تعلُّقها بي، ومدى رغبتها فيّ، والتساؤلات تقتل رأسي، ماذا فعلت وماذا سأفعل؟ لا وقت للّوم لعلّني أستطيع شراء ما طلبته زوجتي.

أتى المساء وفي موعدها اتّصلت بي تشكرني وتسألني إن كنت سأذهب للنادي غدًا، أجبت: بالرفض، هل لديك مواعيد مرتبط بها؟ فأجبت: لا، سأنتظرك غدًا في منزلي، أجبتُ: إن استطعت سأحضر، وإنْ لم أستطع فأعتذر.

قضيت ليلتي ولم تغفل عيني، ولم يغمض لي جفن، أفكّر فيما حدث بيني وبينها، لكني لا أنكر أنى أحسست إحساسا مختلفا.

وفي الصباح ذهبت زوجتي إلى عملها، ووجدت نفسي وحيدًا كالعادة، وما هي إلا دقائق اختلستها لشرب كوب من الشاي، ليرنّ هاتفي، إنها هي، ماذا أفعل؟ أردُّ أم لا؟ ماذا أفعل الآن؟ لا شيء إنها الوحدة والفراغ، أجبت على الهاتف:

- نعم

- كيف حالك؟ أنت بخير؟

- نعم

- ماذا تفعل؟

- لا شيء

- لِمَ لا تحضر لنجلس سويًّا بعض الوقت؟

ومع صوتها الذي يُنبئ باشتياق لم أستطع الرفض، ووعدتها أنى قادم.

وبالفعل ذهبت، وكانت حفاوتها تزداد يومًا بعد يوم، وقد أدمنتها وأدمنتني، وفي يوم من أيامي معها، أحسست أنها تعاني حالة من الإعياء الشديد، فعرضت عليها أن نذهب إلى الطبيب، ونهضت معي، وعندما سألناه عن حالتها، سألني إن كنت زوجها، فقلت: نعم، فقال: المدام حامل.

أعلم أنى من فعلتها، ولكن ماذا أفعل الآن؟

المهم حالتها يا دكتور، كتب لها بعض العقاقير لأحضرها من الصيدلية، وعدنا إلى المنزل، ولأول مرة أرى بعينيها نظرة لم أفهمها، أهي سؤال ماذا سأفعل؟ أم استجداء، وأنا ليس لديّ ردّ على هذا السؤال.

اطمأننْت عليها، وسألتها إن كانت تحتاج أن أحضر لها شيئا أو أفعله، واستأذنتها في الانصراف، وعدت لبيتي، لا أعلم ماذا سأفعل، وماذا ستفعل هي، فما فهمته منها أنها طُلقت لأنها لم تنجب، اليوم هي حامل، وأعلم أنه أنا، وأنا لديّ زوجة وأبناء، وحياة أخرى.

وفي المساء هاتفتني، واطمأننت عليها، وبعد خروج زوجتي للعمل، طرت إلى سيدتي، التي لا أعلم إن كنت أحببتها أم لا، لكنها الآن تنتمي لي بشكل أو بآخر، وحين تأخرَتْ في فتح الباب زاد قلقي عليها، إلى أن فتحته، لكن حالة الإعياء

مازالت ظاهرة على وجهها، ونظرة عينيها كأنها لم تغيرها منذ الأمس، في هذا اليوم قمت أنا بخدمتها، لكنه الصمت الذي يعلو فوق الكلمات، ماذا سنفعل؟!!

بدأت هي معلنة أنها ستحتفظ بالجنين، إنها حُرِمت الأمومة سنوات طويلة، واليوم رُزقت بجنين بين أحشائها، ستتمسك به مهما كلّفها الأمر، وأنا ماذا أفعل؟ لمن سينسب ابني؟ فأنا حالتي المادية مستورة لكنها لا تسمح بزيجة ثانية، وإنه لمن الصعب أن تظلّ هي مَن تنفق على بيت انضمّ له زوج وماذا ستفعل زوجتي حين تعلم؟ إنها عنيدة، كما أنها سترى فيما فعلته خيانة وعدم احترام وعدم تقدير لها ولما قدّمته خلال سنوات عشرتنا، وستطلب الطلاق.

لم لا أتزوج بسمة وأخفي كل شيء، لأنه من الصعب عليها أن تظهر ببطنها المنتفخة دون إشهار زواج، أو وجود زوج، وكل هذا الحوار مع نفسي، وهي مازالت تبرئني مما حدث دون لوم أو عتاب.

لكني أجبتها: هو ابننا ولن أقبل أن يولد دون علاقة شرعية بين أمه وأبيه، وتبدّل حالها، وطلبت منها أن نذهب للمأذون لعقد قراننا، ضاربًا عرض الحائط بكل ما سيوجّه إليّ من اتّهامات أو انتقادات، مع العلم أنني مازلت أحب زوجتي، لكني أخطأت وسأصلح الخطأ بخطأ آخر.

فكّرت مليًّا في الأمر، وقلت ربما بعد قدوم ابننا يمكنني تطليقها دون علم زوجتي وأبنائي ولا حتى اصدقائي، فقط كل ما سأفعله لحفظ ماء وجهها أمام

الناس والصديقات والأصدقاء، وبعدها أتركها ومعها من يؤنسها في وحدتها، وقد أزلت عنها صفة أنها عاقر، سأفعل، المهم الآن أن نتزوج، ويكون دخولي وخروجي من عندها رسميًّا، ويغلق باب الاستفسارات والتساؤلات.

وبالفعل عقدت قراني عليها، وأعدتها إلى البيت وعدت إلى بيتي، كأنني لم أفعل شيئا، أحضرت ما طلبته زوجتي، لكني حين نظرت إليها أحسست أنها أجمل امرأة، وحين حادثتها وجدت أنها ذات العقل الراجح، وحين أعدّت لنا الطعام رأيت أنها أمهر طاهية، وهي تعمل دون كلل أو ملل، ينقصها الابتسامة وتدليلي، وإن كنت أرى ابتسامتها حين تقرأ نكتة أو تعليق يعجبها، والحق أيضًا أنا لست فكاهيًّا، ولا أستطيع انتقاء الكلمات التي تضحكها.

تفقدت حياتنا ووجدتني المقصّر، فهممت بمعاونتها في الأعمال المنزلية، وبتقبيل جبهتها شكرًا على ما قدمته ومازالت تقدّمه لي ولأبنائي، ودعوت أن يسترني ربي فيما فعلت مع الأخرى، حتى أعود لمليكتي شريكة عمري وحياتي.

لكن دائما ما تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد عدة شهور حان موعد ميلاد ابني من بسمة، وكنت أختلق الأسباب والعلل لقضاء أكبر وقت ممكن معها؛ لأعتني بها، وهذا ما لم أفعله مع مديحة أم أولادي، لكني الآن أجد الكثير من الوقت لمعاونة بسمة، لأني ألاحظ تعبها وعلّتها،

ويوم الولادة ذهبنا إلى الطبيب، لكنه لم يبشرني بأي خير، فبسمة قلبها ضعيف، وجنينها ضعيف،

وقال لي: ادعُ لها.

ودخلت غرفة العمليات، وبعد عدة دقائق خرج الطبيب ليبلّغني أن نبض الطفل ضعيف جدًّا، والزوجة في حالة سيئة فأخبرته أنّ الأم هي الأهم يا دكتور، وبدا بإخراج الطفل وأودعوه الحضانة، وبسمة مازالت في غرفة العمليات.

ازداد قلقلي عليها، وكدت أطرق باب الغرفة، لكن الطبيب خرج وأخبرني أن حالتها حرجة، هذا هو حال مريضة القلب، وقلت له: لِم لم تقل لي أنها مريضة قلب؟ ولا أنها لا تحتمل الحمل والولادة، قال : هى من طلبت هذا، وما هي إلا دقائق وأخبروني في المستشفى بوفاتها ووفاة وليدي.

فعلت ما يجب على أي زوج أن يفعله تجاه زوجته المتوفّاة، وابنه الذي لم يضمه لحضنه، وعدت لبيتي لأجد كل شيء كما تركته، الزوجة والأبناء والحياة التي بعدت عنها، والحزن يكسر قلبي، أدركت متأخرًا أني أحببتها، وأنها هي من ملأت عليّ حياتي، وأهدتني البسمة التي أفتقدها في حياتي، فهي كما أتت بالبسمة أخذتها معها.

لكني بين الحين والآخر أذهب لشقّة بسمة وأسترجع ذكرياتي معها، فأصبحت أعيش بين حاضر ربما أختلف معه في بعض الجزئيات، وماضٍ رحل، حبيس

حياتين، لا أستطيع العودة إلى ما كنت عليه سابقًا مع أصدقائي، فقد وجدتني هي وأخرجتني مما كنت فيه، لكنها تركتني وتركت مملكتها لي، ملاذًا لي حين الحنين وحين الحزن والغضب.

أبـحـث عنك حبيبتي ليل نهار — أجول الشوارع تحت الأمطار
أرتـــوي بـذكـرك لا بمـــاء الأنــهـار — أتمنى لو عدتِ ورسمتِ المسار
تركتني بعد أن هديتني فيما أحتار — اليوم أنا هنا وأنت بين الأبرار
انـعـمـي أمــيرتي بجنة بـلا أسرار — وأنا هنا أنتظر الرحيل والانصهار
سألحق بك ولـن يطول الانتظار — حياة أقضيها أضيق فيها بالانشطار
كـأنـك حـلـم عـشـتـه بـالأسـحـار — ليته طــال وصـــار مـــا صار
أحببتك ولم يكن حبك اختيار — فرضته عليّ واستقبلته باستهتار
الـيـوم أعلنها أنــه أفـضـل قـرار — لـكـنـه لم يـــدم راح وطـــار
سريـعًـا كـالـبرق يخطف الأبـصـار — أنـــا بـــين أشـيـــائـك بـــإصرار
وحدي هنا كأني بحديقة بلا أشجار — ينقصني حنانك ولطف الأقدار
كنتِ كنسمةٍ ربيع تحمل الأعطار — وتعيد لنفسي رحيق الأزهـار
الـيـوم أفـتـقـدك وأفـتـقـد النهار — ساد الظلام قلبي وغابت الأنوار

أعـيـشـهـا كـأني أرســم لا أخـتـار   حين نلتقي سأعانقك عناق الانصار

فـقـد آويـتـنـي حـين الانـكـسـار   وهـديـتـنـي بـعـد تـيـه ضـار

بـعـد زمـــان قـسى عـــليّ وجـار   كأنك مكافأة السماء لعبد مختار

دعــائي أن تنعمي بجنة الأبــرار   فقد أعطيتني كثيرًا حتى الاعتذار

رحــماك ربي بهذه الحبيبة يا غفار

MH

بائعة المناديل

كنت في طريق عودتي إلى منزلي بعد أن مررت بعدة مكتبات لشراء بعض الكتب التي أحتاجها لبحثي كمراجع علمية «إعلامية واجتماعية واقتصادية» وغيرها، وقد ركبت مترو مصر الجديدة، ولأنه في غير ساعات ذهاب أو عودة الموظفين أو المدارس والجامعات كان شبه خاويا؛ فجلست على كرسيّ يسمح لي باستقبال الهواء، الذي ينعش كل ما بي، ويطير شعري ويذكرني بحركاتي الطفولية، وجلست أرقب حركة السيارات، والبائعين المتجولين وتنوع السلع التي يبيعونها.

وفجأة جلست أمامي فتاة يتراوح عمرها ما بين ١٢ و١٤ سنة، وخبّأت ما بيديها في كيس بلاستيك، ونظرت إليّ وكأنها تتفقّد ملابسي وشعري ونظارتي الشمسية، وبدا عليها أنها ستطلب مني أن أخلعها لتلبسها.

عيناها بلون البحر تميل نحو الخضار تتحدث عما بداخلها وثيابها تشبه ثياب البيت، وسمار وجهها يدلّ على تعرّضها للشمس لفترات طويلة، وحالها العام يُنبئ عن بساطتها، لكنها تُظهر عكس ذلك تماما.

وبعد حملقتها فيَّ لفترة طويلة وابتسامتي لها بدأت الحوار معي، وحدثتني عن نفسها وعن والدها ووالدتها وأخواتها، تتحدث بثقة شديدة بالنفس، وبدأت

تسألني عن عملي وعن أسرتي، وكأنها تتعرف عليّ لنبدأ معا علاقة صداقة، وهي في عمر أبنائي أو تتمنى أن تكون ابنتي.

لكنني بدأت بحوارها، «هل تعرفين القراءة؟ «

أجابتني: لا

ثم سألتها: وأخواتك؟

أجابت: جميعا لم ندخل المدرسة

ووالدتك قالت إنها بالمنزل تعد لنا طعامنا وتنظف المنزل، ووالدك إنه «أَرزُقي» يبيع أدوات كتابية في وسائل المواصلات العامة، ومرات يبيع ولّاعات، وكل مرة يبيع سلعة مختلفة.

سألتها لماذا لم تذهبي للمدرسة؟

قالت: أنا لا أحب الذهاب للمدرسة.

وركزت قليلا في الكيس الذي تحمله، فاكتشفت أنها «بائعة مناديل»، لكنها أرادت أن تتخلّى عن نظرة الشفقة في عين الركاب، وأنها قررت أن تُجري حوارًا معي بلُغةٍ تميل إلى لغة الطفولة، لكنها تتجاوز الفارق السِّنّي بيننا، وتودّ لو أرسلت رسالة مفادها: أنها ستكون مثلى عندما تكبر؛ فنظرة الإعجاب التي تلاحقني بها تتمناها لنفسها، وعندما أدرْنا الحوار معًا، أحسّت بأننا متماثلتين لا فرق بيننا سوى سنوات، ربما بعمرها القادم تكون مثلي.

ليتها تحقّق ما تمنّته، لكني في حيرة تامة، هل أشتري منها المناديل التي أخفتها عني؟، سأكون قاسية لو أشعرتُها أني أعلم هذا، وهل سيكون هذا محرجًا لها، أم أتجاوز إدراكي وأكمل الحوار معها فقط.

أكملت الحوار لكنني تعمّدت أن أترك مبلغًا من المال على الكرسيّ، حتى لا أجرح مشاعرها، ونهضت حين وصل المترو محطة غمرة، ودّعتها ونزلت وأنا أرقبها وأرقب نشوتها وسعادتها بحوارها معي وبالنصائح التي أسديتها لها، وما أن تحرّك المترو وجدتها تشير لي بالنقود التي نسيتها على مقعدي، فأشرت لها أن تأخذها، فابتسمت على استحياءٍ وشكرتني بإيماءةٍ من رأسها.

MH

حبيب القلب

كنت أستعدّ للذهاب إلى عملي في الصباح، وكعادتي أتفقد ملامحي وأنتقي ملابسي التي تتفق وحالتي النفسية، تمتدّ يدي إلى الألوان الفاتحة ودرجات اللون الأحمر؛ فهذه ألواني المفضّلة حين تكون حالتي المزاجية جيدة، وإن كانت حالتي المزاجية غير ذلك أرتدي الألوان الغامقة كالأسود والبني والأزرق، لكن حالتي المزاجية ليست بخير، لا أعلم لماذا.

فقد ارتديت تايّيري الأزرق، وهمَمْت بالنزول فإذا بجرس هاتفي يرنّ إنه زوجي، وعندما أجبتُ وجدت صوتًا غريبًا يحادثني:

- هل حضرتك زوجة الأستاذ عاطف حسن؟

- نعم أنا

- لديّ خبر غير سار، زوجك الآن بمستشفى القصر العيني، فقد صدمته سيارة أثناء عبوره الشارع.

.. ارتبكت واسودّت الدنيا أمام عيني وسألته:

- ماذا به؟!!

وكدت أفقد الوعي، لكنّني تماسكت وهرعت إلى الشارع، واستدعيت سيارة أجرة لأصلَ إلى المستشفى، وتوجّهت إلى الاستعلامات لأسال عن زوجي، وأخبروني أن حالته حرجة، وهو في غرفة العمليات، وتوجّهت مسرعة إلى هناك، وانتظرت ولم يطل انتظاري ليخبرني الطبيب أن زوجي رحل ويقول لي: «البقاء لله».

- في.. مَن.. يا.. دكتور؟!!!

- في زوجك

- كيف؟!، لقد نزل في الصباح الباكر لم يزعجني، ليتجه إلى عمله، وترك ما اعتاد تركه لي من الزهور، ليقول «صباح الورد»، فهو يعلم أني أحب الزهور، رحل دون أن يودّعني.

تزلزلت الأرض بي، لا أعرف كيف أتصرّف، وبعد وقت من الانهيار بدأت الاتصال بأخوتي وأخوته لكي يغيثوني، مات زوجي، شريك عمري الذي اخترته وحاربت الدنيا كلها لأجله، ضاع مني، كنا معا دائمًا، حتى إنْ افترقنا كلٌ في عمله كنت لا أشعر أنه يفارقني.

دائمًا يلاحقني بمكالماته ويطمئن عليّ، وأنا أجيب بكل الشوق والحب، وأساله متى ستعود، وماذا أعدّ لك، إنه نصفي الآخر الذي لا أعرف كيف يأتي علينا

وقت ننشطر فيه لأذهب لعملي ويذهب هو لعمله، لكنه يعرف كيف يعوضني عن هذا، بهمساته ورقيق كلماته ومداعباته التي يلاحقني بها، وماذا أفعل الآن؟!

عشر سنوات ونحن هكذا لم يتغير بل كان يزداد حبًّا لي، وأزداد حبًّا له، على الرغم من أننا لم نرزق أطفالًا، إلّا أنه كان ابني الذي لم أنجبه وأنا ابنته، شعرنا في لحظة ما أننا لو رُزقنا بأطفال لحُرمنا الحب الذي نعيشه، فقد خلقنا لبعضنا.

كيف يتركني الآن؟! أيّ هواء سأتنفّسه يخلو منه؟!، أيّ حياة سأحياها دونه؟!، إنه قلبي وعقلي، منذ ساعات كنت بين ذراعيه، يحوطني ويهدهدني حتى أنام، أشعر أن جسدي يرتجف من البرد، راح من يحتويني ويحنو عليّ، من يروي قلبي بالحياة.

أصرخ وأصرخ، وأتّجه نحو الغرفة التي يرقد بها، وألقي بجسدي عليه، دفء قلبي راح، جسده بارد كالثلج، ربما أدفئه أنا، ربما حين أعانقه ينهض، ربما توقظه دقات قلبي، ربما يعود حين يرى الدموع بعيني، ربما يتراجع ويبقى بجانبي.

يا من هويت لِمَ الفراق؟!

كنت بجانبي وبقلبي اشتياق

والآن والقلب به شقاق

عُد فقلبي يكاد يتمزّق للُقياك

أضمه وأحادثه، والكل يبعدني:

ودّعيه فقط ودّعيه

أودّعه أم أودّع نفسي؟، هو لم يمت، أنا مَن مت، وعقارب ساعتي توقّفت، حتى عقلي لا يفكر، لا تأخذوا حبيبي.

يدخل الجميع ويعدّونه كي يحرموني حتى من جسده الذي لا يراودني ويحاكيني، رضيت به ساكنًا، اتركوه إلى أن أرتوي منه.

ووسط عويلي وصراخى، لم أدرِ ماذا حدث؟ غبت كثيرًا إلى أن أفقت لأجد أختي تلازمني وعيناها تزرف الدموع لأجلي وتقول: تماسكي

- أين هو؟

- ذهبوا ليدفنوه

- وكيف لا أكون معهم؟!

- حدّثتهم وقالوا أنّهم قادمون ليطمئنوا عليكِ.

حتى لم أره وهو يُدفن، هل هان على الجميع؟ تركوه وحيدًا وأغلقوا مقبرته، هل أعدّوها جيدًا لاستقباله؟ هل نثروا بها الزهور، والعطر الذي يفضله، هل ألبسوه الأقمشة التي يفضلها؟ كيف غبتُ عن الوعي؟!

ولِمَ لَمْ أفعل له ما يحبه؟ أحدّث نفسي كثيرًا، هل سأعود لمملكتي وحيدة دون أن أنتظره، دون أن أعدّ له كل ما يحب، دون أن أتزيّن لحبيبي؟!!

سيخلو فراشي من دفئه ومن أنفاسه، وقلبي هل سيدق دقّاته أم سيتوقف كقلبه، لا أستطيع أن أتخيل الحياة بدونه، عويلٌ وصراخ، والكل يهدّئ فيّ، لِمَ رحل وتركن؟!، عشنا سويًّا لماذا لم نرحل سويًّا؟

عدت لمنزلي تصاحبني أختي وكل من حولي، لا أكاد أصدّق أنى فقدته، ملابسه على سريري، رائحته مازالت بها، أتنفسه بها، هل مازالت دافئة أحتضنها؟!، عيناي تزرفان الدموع وقلبي حزين، خلَت حياتي من دفئه، خلت ممّن يقرؤني ويفكّ شفرتي، هل أنا حزينة أم فرحة، ويداعبني ويخفف آلامي.

اليوم أنام وحدي، هل ستغمض عيني؟ هل سأنام بلا دفئه؟ بلا مداعبته لشعري، سكن جسده ومازال جسدي يتحرك ويتشوق لملاحقته، افترقنا، هو بعالمٍ وأنا بعالمٍ آخر، متى سألحق بك يا من أخذت حياتي معك.

ومرّت ليلتي والكل حولي يرقبني، فهذا ينام جالسًا، وهذه تغفو، وأنا لا أغمض عيني، أراه في كل مكان، وأتحسّسه، ينقصني ضمُّه لي، كنت بين يديه طفلته المدلّلة، اليوم كبرت عقودًا؛ فقلبي شاخ، حتى ملامحي ذبلت.

العيون حولي تعلم مدى حبي له، لكنها سنة الحياة، يواسونني وإن لم ينطقوها، أعرف أن الفراق صعب، وهذا فراق للأبد، فراق بلا رجعة، الصمت سمتي، راح حبيبي وقرّة عيني.

أخبروني أن العزاء سيقام بعد غد في مسجد « آل رشدان «، لا أعرف كيف مرت هذه الأيام، إلى أن جاء يوم العزاء، فلنستعد، أخرجت ردائي الأسود، وذهبنا إلى القاعة لننتظر أقاربه وزملاءه بالعمل وأقاربي وزملائي والجيران ومعارفنا.

جلست في مقدمة القاعة فالكل يبحث عن زوجة عاطف حبيبة روحه ومليكة قلبه، ليواسيها في مصابها، تقبّلت عزاءه وقلبي يقطر دمًا وعيني لا تجفّ بها الدموع إلى أن دخلت سيدة بصحبتها طفلة عمرها حوالي خمس سنوات لتعزيني، فسلّمت عليها وقبّلت طفلتها، إنها «منى» على اسمك، سمّاها عاطف على اسمك لأنه يحبك أكثر من نفسه، إنها «منى عاطف»، إنها ابنته الصغرى، فأنتِ ابنته الكبرى.

-من أنتِ؟

- أنا زوجة عاطف، تزوجني لأنجب منى الصغيرة

صاعقة نزلت فوق رأسي، حبيبي خانني، حبيبي ضم أخرى لصدره .

لملمت أشيائي وغادرت المكان في هدوء دون اكتراث بمن حولي، أين أذهب؟ إلى منزل ضمني وضمه، المكان يشهد على خداعه، كيف لم ألحظ هذا،

حتى مكان الحادث، لمَ لم أسأل نفسي؟ لِم صدم هناك وليس طريقه للعمل؟!، إنه كان معها أو متّجهًا إليها، كيف هنت عليه، ولم يخبرني، ويخيرني إن قبلت كان وإن رفضت اختار هو، لكنه فرض الأمر الواقع، حظي بنا .

تبدّد حزني، وتاه وسط ذهول عقلي، سكّينًا طعنتها هذه السيدة بصدري، كيف عرفها وكيف تزوجها؟ كيف خانني؟ وهذه الطفلة الصغيرة، قطعة منه ولها اسمي، ماذا فعل بي؟ يحاصرني حيًّا ويقتلني ميّتًا، إنه يراوغني، أنا «منى» الكبرى وهي «منى» الصغرى، ماذا يريد مني، يوصيني بابنته، هذا ما أسرت لي به امرأته، سأنام فقد تحملت كثيرًا، ربما أفهم حين أفيق، وأغمضت عيني.

MH

سوف أحيا

جلسَتْ على أريكتها كعادتها تستمع للمذياع، وحين أدارت مؤشره سمعت أغنية رومانسية لفيروز، ثم سألت نفسها: لِم لا أحيا؟ وراقت لها كلمات الأغنية، التي أثارت فيها حنينها للحياة،

أمّا هي فقد فقدت إحساسها بالحياة؛ فبعد أن زوّجت أبناءها ورحل زوجها، لم تعد لها حياة، لا اتّفاق ولا اختلاف، كل ما بينها وبين هذه الحياة هو صوت المذياع ورنة هاتفها، التي غالبا ما تكون من أولادها الذين اعتادوا أن يتصلوا بها ليطمئنوا عليها حين يستقرون في عملهم أو منازلهم، أو جمعية من الجمعيات التي اعتادت أن تخصص لها نوعًا من الصدقات الشهرية أو المساهمة في علاج بعض المرضى، أو شُنط رمضان، وغيرها من أنشطة هذه الجمعيات.

وغير ذلك أصبحت حياتها روتينية تمامًا، عندما تستيقظ من نومها تتوضأ لتصلي، وتتابع التلفاز لتعرف أخر الأخبار، وبعد فترة تعد إفطارها، وتتناوله وتأخذ علاجها المعتاد مع وجبتها، وتقوم ببعض الأعمال المنزلية التي اعتادت القيام بها.

وبعدها تجلس لتفتح جهاز الحاسب الآلي الخاص بها لتتصفح بريدها الإلكتروني، فلها صديقات وأصدقاء على هذا الموقع تتواصل معهم، فتهنّئ هذه وتواسي هذا، وتعلّق على ما نشره الآخرون، إلى أن يحين موعد آذان الظهر، تستعد للصلاة، وتفكر في إعداد الغداء، وهل ستتناول الغداء وحدها، أم أن أحد أبنائها سوف يأتي هو أو هي وأسرته.

وهكذا وبعد ذلك يؤذن العصر لتصلي وتشعر ببعض الملل فتذهب لسريرها وتستعد لأخذ قسط من الراحة وتستلقى على فراشها.

وما إن سمعت هذه الأغنية، قالت لنفسها: «هل هذه حياة؟ « إن مملكتي أصبحت كالقبر، ما يجعلني أختلف عن الموتى فقط هو أني أروح وأجيء، أفتح نافذة وأغلقها، أكل هذا أم هذا؟ أرتدي هذا أم هذا؟.

وأمضت ليلها تفكر وأخيرا قررت، لم لا أستمتع بحياتي؟!، سأخرج غدًا وأذهب إلى النادي وأتقابل مع صديقاتي، هل سأجدهم هناك أم أن كل واحدة منهن دارت في فلك زوجها أو أحد أبنائها؟.

حتى في هذه الأيام من فصل الصيف معظم صديقاتها يمتلكن شاليهات في المحافظات الساحلية، وإن كانت صديقتها إيمان موجودة في النادي، فمن المعتاد أن يأتي زوجها ليتناولا الغداء معًا ويعود بعدها للعمل.

ومنذ أن توفي زوجها ازدادت حساسيتها من نظرة أقرب الناس إليها، ففي الرجال ترى نظرات اختلفت عن سابقتها من نفس الرجال، ومن صديقاتها هي صديقتها أما إذا حضر زوجها تتغير النظرة وتحاسب زوجها على أي كلمة أو تعليق على حوارها إن تحدثت، ماذا بعد؟

سأذهب وأجلس وحدي وأشرب كوب العصير الذي أعشقه هناك، وأتمتع بالمساحات الخضراء، سأذهب صباحا، لا سأتناول إفطاري هناك، كفاني غلقًا للأبواب سأذهب.

وكعادتها استيقظت مبكرا لتبدأ برنامجها اليومي، وبدأت تستعد للخروج، وانتقت ملابسها بعناية وهمّت بارتدائها، إلى أن سمعت جرس التليفون.

صباح الخير، كيف حالك يا أمي ؟

« وكعادتها «الحمد لله»،

ماما عندك أي ارتباط اليوم، زوجي يريدني أن أذهب معه عند والدته لأنها مريضة ولن أستطيع اصطحاب أولادي معي، هل ممكن أحضرهم لك وأذهب معه، أنتِ تعرفين أنني إن لم أذهب سيغضب، ويبدأ في مرحلة عناده وأنا لم أعد أحتمل تبعات هذه المواقف والمشاكل بيننا،

فابتسمت الأم وقالت: احضريهم يا حبيبتي أنا في انتظارك

وبدأت في خلع ملابسها، وارتداء ملابس البيت، فهي اليوم لن تحيا...... ربما غدًا تحيا .

عودي هامس

كما هو حبيبي منذ أن التقينا، حين يغضب يصمت، وإن حادثته لا يرد لي جواب، أعتذر وأعلن أسفي، وإن كنت لا أشعر بأني أغضبته، أو بأني مذنبة، لكني أعرف ما يدور بعقله فهو مثلي، كثير التفكير وطرح البدائل.

لكنّني سعيدة بوجوده في حياتي، إنه بريق النور الذي أضاء حياتي، فقد حسبت نفسي من الأموات قبل أن أراه، وها أنا الآن أعلنها أنى لست أحيا فقط بل أحيا بسعادة، فقد أحيا فيَّ كل ما مات، وأحسست معه أني عدت للحياة، وأصبحت أرضًا خصبة، تطرح ما يبذر بها، وكنت قبل أن أراه أرضا جدباء، بلا قلب ولا مشاعر ولا أحاسيس.

اليوم رأيت بعينيه غضبًا وضيقًا؛ أنّى فضّلت عليه حضور مؤتمر، لا يا حبيبي إنه عمل!، أتغار عليّ حتى من عملي؟!!

لا أنا لا أحب أن تفضّلي عليَّ شيئًا آخر، أنا دائمًا أشتاق إليك ِ، وأنت لا.

كيف؟ فأنا دائمًا أعلن حبي!

حُبك فقط كلام، أما أنا أترك الدنيا كلها لأجلك.

يُخجلني حين يقول هذا، وأبادر بمعانقته، لكنى لا أتخلّى عن رأيي؛ هذا عمل، أنت حبيبي، أما هذا فهو عملي!

فيباغتني: إذا كنت تفتقدينى كنت بقيتِ معي

كيف أبرّر غيابي عنه؟ يؤثرني حين يقول: إنه لا يريد أن يفارقني، ولو كان بيده ما تركني، وأحاوره: لم لا تأتى معي؟

ويرد: أنا لا أهتم بهذه الجلسات، ولى عمل مختلف

كلانا يشقُّ طريقًا موازيًا للآخر، متى سنلتقي؟ لا أعلم، لكنى أتطلع دومًا لمثل هذا اليوم.

أحايله وأتمنى رضاه، وألاطفه إلى أن يصفو، ويبادلني العناق، لأذوب بين ذراعيه، منذ أن تزوجنا، وأنا لم أشعر أنه زوجي، أشعر أنه ابني، وكثيرًا ما أحسست أنه يعاملني كأنني أمه التي لا يستطيع فراقها، وإن غبت عنه، يلحّ في طلبي، ويحسب الساعات والدقائق، ويناشدني بالعودة «عودي هاميس»، وأتخيل أن يأتي يوما يطلب منى أن أحضر له بعض الحلوى كالأطفال.

ويكشف غضبه عن مدى اشتياقه إليَّ، أراضيه والبسمة لا تفارق شفتيّ، إنه يفتقدني، وعقله كأنه خصمي، ويزيد الطين بلّة حين أغيب، يسأله عقله: لِم

تركتك؟ إنها تعرف أنك تحبها، وتأنس بوجودها، واليوم أنت هنا وحدك، لو كانت تحبك ما ذهبت.

أعالج ما دار وحار بعقله، حبيبي ما تركتك إلا لأجلك، وأسترضيه بكل ما لديّ من ملاطفات امرأة تحب زوجها، حتى يرضى.

إن رأيتموه حين يرضى، لن تصدقوا ماذا يفعل، يكاد يحملني، ويجعلني تاجًا على مملكة حبه، ونرسم معا أجمل تابلوه لأرقّ قصة حب، هكذا يكون خلافنا، وهكذا يكون رضانا، كم أكره أن أغضبه، لكن حين أتذكر ما يفعله بعد أن يرضى، يساورني الاشتياق إلى ساعات رضاه بعد غضبه، وأتساءل أأفعلها ثانية وأغضبه؟

MH

سأعلن قراري

ذهبت إلى النادي لآخذ قسطًا من الراحة من نصف يوم عمل، سيتبعه نصف آخر يحتاج مني إلى تركيز؛ إنها اجتماعات هامة، وفي نفس الوقت أتناول فنجان القهوة التركي الذي ينبّه خلايا عقلي حتى أستطيع استكمال الحوار واتخاذ القرارات.

جلست وبعد فترة وجيزة حضر شاب وجلس على منضدة مقابلة لمنضدتي، وما هي إلا دقائق ووجدته ينهض منتفضا للترحيب بفتاة رشيقة أنيقة وتعانق يداه يداها.

لم تفترق يداهما حتى أجلسها، وقد انتقل العناق على هيئة نظرات تنسج خيوطًا من الحرير ذي البريق، تكاد عيني لا تميز ما حولها من نظراتهما، أحسست ساعتها أن قلبيهما تمركزا في هذه النظرات وتعانقا، وأفلتَ يده من يديها ليعطيها وردةً حمراء تسرُّ كل من يراها، لتعلو البسمة شفتيها وتقبّلها وتلين يداه كأنها قبلته هو، إنها ملامسة يديه إنها رمز لحبّه.

كل هذا وأنا أرقبهما، إنه الحب، كم يرقى بالمشاعر، فانا الآنسة ذات الخمس والثلاثين عامًا، أقسم لو أنى رأيت شابا يفعل معي ما فعله هذا الشاب لما ترددت لحظة في الارتباط به، مهما كانت ظروفه المادية والاجتماعية.

فقد تقدم لخطبتي رجال كُثر، لكنهم كانوا يهتمون بتفاصيل في غالبها مادية، واتّفاقات وتفاصيل في عقد الزواج وفي قائمة المنقولات، حتى في حفل الزفاف، وقضاء شهر العسل، كلها مراسم، كلها اتّفاقات، ينقصها أهم ما في هذا الارتباط، ينقصها الحب الذي ارتسم بين الجالسين أمامي.

إنها رحلة المشاعر والأحاسيس، التي تُبنى عليها حياة، بها ما بها من إيجابيات وسلبيات، رحلة عمر وارتباط حتى نهاية الحياة.

وها هو زميلي في العمل حمدي، أعرب عن حبه لي، وألمحَ إلى أنه يريد أن يتقدم لخطبتي، وأنه في أقرب وقت سوف يزورنا في منزلنا، لكني لم أرى في عينيه لمحة الحب التي رأيتها في عينيّ هذا الشاب.

لم يقدم أبدًا على إحضار مثل هذه الوردة لي، لم أرَ في عينيه نظرات الشوق والفرح حين يلقاني، لم يشعرني أبدا أنه يحبني.

لكنه أعلن أنه سوف يتقدم لخطبتي، وأن لديه شقة فارهة في حيٍّ راقٍ وسيارة أحدث موديل، وملابسه في معظمها ماركات عالمية «براندات»، وأنا مثله في حالتي المادية، وأيضًا أمتلك من العقارات وسيارة حديثة، ولي بعض الثروة.

وأسرتي تضاهي أسرته، كما إنه يضاهيني في العمل، وهو أيضًا من عائلة محترمة.

لكنه لا يعرف كيف يحاور امرأة، مازلت في حيرة من أمره هل أقبله، أم أبلغه اعتذار أسرتي عن استقباله لرفضي له أو لرفضها له.

وعدت أنظر ثانية إلى الشاب والفتاة لأرى حديثهما الذي يشبه الهمس، وعناق يديهما، ولاحظت أن الفتاة بدأت تنظر في ساعتها، وتشير إلى حبيبها أن هناك من ينتظرها، ربما أسرتها تتعجلها، أو ربما استأذنت منها للقاء صديقة لها.

فهي تبدو طالبة جامعية، وصديقها يبدو أنه حديث التخرج، والفارق بينهما لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في السنين، نهض ليودعها، وفي عينيهما بريق واشتياق قبل أن يفترقا، وودعها، لكنه انتقل ليجلس مكانها، وكأنها تركت بمقعدها ما يؤنس وحدته، رائحتها وبصماتها، كأنه يتحسّسها.

وأنا مازلت أرقب وأحلم بما حدث بينهما، وبعدها انصرف هو الآخر، ولم أجد في المكان بعد رحيلهما، من طيفهما ما يؤجّج مشاعري، خلا المكان من دفء الحب الذي نثراه به، وأصبح باردًا على الرغم من أننا في وقت الظهيرة، والشمس ساطعة تنشر ضوءها ودفئها، إلا أنني أشعر بالبرد.

طلبت من النادل أن يحضر لي فاتورة الحساب، ومشيت وذهني شارد، ماذا سأفعل مع حمدي؟ أقْبله وأعدِّل به، أم أزرع به مشاعر الحب، هل سأنجح أم أنه من الصعب تغيير الآخر، خاصة أن الإحساس يولد به الإنسان ولا يكتسبه من إرشادات أو توجيهات.

إن كان به إمكانية لقبلته، لكنه لا يعرف العاطفة التي تؤجّج المشاعر، والتي تفيض بها العيون وينقلها سلام الأيدي، والبسمة المرسومة، قراري قد حُسم، أريد الوردة والإحساس، أريد نظرات الشوق ولمسة اليد، سأرفضه.

الكابوس

بعد يوم طويل من العمل والعناء مع الأولاد جلست على فراشها، فقد بدأت يومها «مها» من السادسة صباحًا، وكعادتها استيقظت ثم صلّت الصبح، وأعدت ملابس المدرسة لأبنائها، وقامت بإعداد السندوتشات التي سوف يأخذونها معهم، وأعدّت الإفطار لهم، أيقظتهم استعدادًا للتوجه إلى مدارسهم.

وبعد أن نزلوا جميعًا قامت بارتداء ملابسها لتذهب إلى عملها الذي لا يبعد كثيرًا عن مسكنها؛ فهذه المسافة تستغرق حوالي ربع ساعة مشيًا على الأقدام، وبعد انتهاء عملها عادت إلى بيتها وبدأت في إعداد وجبة الغذاء لأبنائها وزوجها، وتبدأ في استقبالهم كل على حِدة.

فإذا كانت بحالة نفسية جيدةً تخفي حذاءها وتختبئ بإحدى الغرف لتفاجأهم بوجودها وتعلو ضحكات الأبناء، وتسعد معهم، وتتناول معهم وجبة الغذاء وبعدها تخلد للنوم وهم أيضا لتبدأ في دور آخر بعد الاستيقاظ وهو غسيل ملابسهم، ومساعدتهم في عمل واجباتهم المدرسية.

كما تحرص على مشاهدة التلفاز، وإنْ لم ترتبط بأيّ مسلسل تليفزيوني فإنها تشاهد أهم الأخبار، أو تشاهد فيلما عربيًا أو أجنبيا، تاريخيًّا أو عاطفيًا أو أفلام

الخيال العلمي أو كوميدي؛ كي تختلس منه بعض الضحكات قبل نومها، وهي دائمًا تعيش مع أبنائها، تحتفي بهم، فقد وهبت حياتها لهم، وتمضى الساعات ليخلدوا إلى النوم مرة أخرى.

وفي هذا اليوم لم تذهب لعملها؛ فبعد أن خرج أبناؤها وزوجها ارتاحت في فراشها فقد كان الجو باردًا؛ فنحن في شهر ديسمبر المعروف ببرودته.

وما هي إلا ثوانٍ معدودة وجدت نفسها تغتسل، وتعدُّ نفسها، وتذهب لترتدي ملابسها البيضاء الناصعة، نظرت إلى مرآتها، لتجد أن ملابسها التي ارتدتها بعد الاغتسال تشبه الكفن، وهي تستعد للدفن وتعلم أنها ستموت.

وما إن خرجت من غرفتها وجدت أمها وخالتها تجلسان على حافة ماذا؟ إنه القبر، هذا قبري، إنه قبر يشبه قبور الفراعنة، التي رأت مثله في زيارتها للمتحف، فهو مستطيل من الحجر البيج الذي يميل نحو الصفرة، إنه يتسع لأكثر من فرد، لكنه حُفر خصيصا لها، فعمقه عدة مترات، تراه كالمقابر الفخمة التي تراها بالأماكن الأثرية أو المتاحف وشكله جميل ونظيف.

لكنها تساءلت، هل أنا أستعد لأدفن، لماذا؟ صاحت بأعلى ما عندها، « لماذا يا أمي؟»

أنا مازالت على قيد الحياة، وتغيرت ملامحها ونبضات قلبها تصرخ: «أنا لم أمت»

وظهرت زوجة أخيها لتلاحقها «لازم تموتي، « ألم توقعى على الأوراق؟» .

هرعت «مها « إلى السُّلم هربًا من القبر المفتوح، وبدأت تنزل الدرجات وعقلها لا يكاد يصدق أنها كانت تستعد للدفن وتنزل قبرها بزيها الأبيض الذي يغطيها من رأسها حتى قدميها، ولا يُرى منها سوى وجهها.

انتفضت «مها» من فوق سريرها تبكي بحرقة، لماذا كانت ستدفن؟ ولماذا كانت أمها وخالتها تجلسان في صمت لتنزيلها القبر؟!.

سمعت ابنتها الكبرى نحيبها فلم تذهب إلى الجامعة في هذا اليوم، وجلست للاستذكار؛ لتسألها عمّا حلَّ بها، و «مها» التي تبكي كاد قلبها ينفطر من البكاء وعيناها لم تجف، مازالت تتساءل، ما الذي وقّعت عليه؟!، وما المؤامرة التي حِيكت لها، والتي جعلتهم يفعلون هذا بها.

ربما لأنها لم تطالب بميراثها عن والدها، ولم تطمع فيما ترك، أيكون هذا توقيعها، أم أنها حين وافقت على بيع جزء من تركة أبيها، مخالفة لما أوصى به والدها، وأنها لم ترد إغضاب والدتها، إنه كابوس التفريط فى الحقوق .

MH

الحالمة

تقدّم لخطبتي الكثير من الشباب، وبالفعل تمّت خطبتي لاثنين منهما خلال سنتين، لكنّ ما يحدث بعد الخطبة غالبًا ما كان يتكرر بيننا، حين نبدأ يلاحقني بحلو الكلام وجميل الوصف، وهمسات التقارب حتى يبدو لي أنني تعلّقت به.

وبدأت مرحلة التعود على وجوده في حياتي، فلا أصحو إلا وأطمئن عليه، وأسمع صوته، فأهاتفه، وبعدها يبدأ يومي، إمّا بكل الرضا أو بكل الحزن، بحسب ما أسمعني حبيبي من كلام، إنْ بادرني بأنه غاضب منّي أو من العمل أو أسرته أو ضيق حاله يغير يومي بأكمله.

وهكذا تمرُّ الأيام ليبدأ بانتقاد ملابسي أو هيئتي، وفي بعض الأحيان ملامحي، لأنه في بعض الأحيان يغار من جمالي، ويخاف أن أشعره بأنه أقل مني، وأنني مطمع لكل مَن حولي، حتى نظرات الآخرين لي يحاسبني عليها.

دائما يتفنّن في التقليل من شأني ومن إعجاب الآخرين بجمالي؛ ليشعرني بالانكسار، وأنني لابد أن أسجد لله شكرًا على أنه أنعم عليّ بهذا الخطيب، الذي يعدّ أقل مني ربما علميا أو وظيفيا أو اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا.

وتتطور الأحداث بيننا إلى أن يضيق صدري وأشعر بمدى الصراع الذي أوقعني فيه، بين ما يمليه على مسامعي من نقدٍ حتى لشخصي من جانبٍ وبين نفاد صبري من جانبٍ آخر؛ فأُضطرُ لإتخاذ قرارٍ بفسخ الخطبة.

وذات يوم تقدم لي شاب كان يتميز عن خطيبيّ السابقَين، فقد بدأ نفس البداية إلا أنه لم ينتهي مثلهما، فقد استمر في حبه لي وملاحقتي بأجمل الكلمات، ناهيك عن لمساته في المناسبات المختلفة «عيد الحب» و»عيد ميلاده» وغير ذلك من المناسبات الدينية والأسرية، لا يقصّرأبدًا، وأقوم أنا أيضا بمجاملته والاحتفال بمناسباته الخاصة والأسرية.

مضت على خطبتنا ثلاث سنوات، وكان أبي وأمي كثيرًا ما يوجهان له النقد خاصة أن حالته المادّية ليست كما كانا يفضلان، فقد اجتهد لكي يستأجر لنا مسكنا لنتزوج به، وتعثّر كثيرًا في تأثيثه على الرغم من مشاركتي له دون علم أبي وأمي ودفع ما أستطيع في تمويل ما عليه إحضاره، وتحمّلت كثيرًا من أجله إلى أن تمّ الزفاف.

عشنا سويًّا، وما هي إلا شهور قليلة ورُزقنا بابنتي الوحيدة «مروة»، وبعدها جاء لزوجي عقد عمل في السعودية، وكأنّ أبواب السماء فُتحت لدعائي بأن يوسع الله له رزقه، وسافر فعلًا، وكان يرسل ما يوفّره من أموال.

وخططت لشراء شقّة تمليك في مكان أرقى من المكان الذي نسكن فيه، وبالفعل بدأت رحلة البحث عنها، ووُفّقت في إيجادها، وبدأت رحلة تشطيبها، فانتقيت ما تمنيته أنا وزوجي في مسكن الزوجية.

وكنت في صراع مع الزمن لأعد جنّتنا في الوقت المناسب لعودة زوجي، وهذا لا يخلو من دعمي من راتبي لأكمل ما ينقص المنزل.

عاد حبيبي من سفره، ليجد ما وعدته به من مسكن أكثر رقيًّا وراحة، وما حلمنا به وتمنيناه معًا ومنعتنا ظروفنا المادية من تحقيقه.

لكنه لم يعد كما تركني، لقد تغيّر كثيرًا، بدأ ينتقد ما اجتهدت فيه، ويتّهمني بالإسراف، لم يراعِ أنى أكملت كل هذا من مالي الخاص، حتى أنني أصبحت مدينة بالكثير من المال، فقد اشتريت الكثير من الأجهزة وبعض قطع الأثاث وغيرها بالقسط، وهدّأته بأنني لن أكلفه أكثر مما دفع.

وبدأ الإحباط يتسلل لنفسي بعد هذا الموقف، لكنني لن أضيق عليه فهو ضيفي في مملكتي التي صنعتها لأجله، وأمضَى أجازته وسافر، لكنه زرع في قلبي غُصّة.

ولأنني أحبه غفرت وسامحت، لم أبخل على جنتي ولا على ابنتي، لكن العديد من المشكلات واجهته في عمله، وعاد ليستقر معنا.

وفي كل يوم أحدّث بشقتي، وأضيف لأسعد حبيبي، ومرّت سبع سنوات، والحال كما هو، وأنا أجدُّ وأجتهد في عملي وأتابع أداء ابنتي، وأذهب وأعود بها من المدرسة ومراكز التقوية، وزوجي يلقي بكامل المسئوليات على عاتقي.

لم أطالبه بالكثير من الأعمال، وكأنني كنت أهمّشه، فقد اعتدت في غيابه القيام بكل الأدوار، ناهيك عن صوته العالي الذي يلاحقني به إن طلبت منه شيئا لى أو لإبنتي.

بعد فترة لاحظت تغييرات كثيرة على سلوك زوجي وتصرفاته معي ومع ابنته، وفي كل مرّة أبحث عن مبرّر لمثل هذه التصرفات، لكنني بدأت أضيق بما يفعل، وقلَّ احتمالي.

وبدأ الشك يساورني في سلوك زوجي، حتى أنني أصبحت أتفقّد ملابسه حتى الداخلية منها، وبالفعل لاحظت تغييرات وبعض التدخّلات، تحاملت على نفسي وجلست أفكر، كيف أبدأ مصارحته بما لاحظته؟ كيف أتحيّن الفرصة لهذا؟ وماذا لو أنكر؟.

كاد عقلي أن يتوقف عن التفكير، إلى أن استجمعت شجاعتي لمواجهته، وهالني ما فاجأني به دون أي مراوغة أو مراعاة لشعوري، نعم لقد تزوجت، أريد أن أنجب، أنتِ لم تنجبي سوى بنتًا واحدةً، وحالَت ظروفك الصحية دون الإنجاب مرة أخرى.

دُهِشْتُ؛ فأنا التي أخفيت عنه أنه كان السبب فى عدم الإنجاب، ومرّت السنون دون أن أُعلمه بهذا، وهو اليوم يبيعني كي ينجب!، فقد كان يظن أنني

حرمته من ولي العهد الذي تحتاجه مملكته، هو من قصّر فيّ وفي ابنتي، وأهملَنا وراح يبحث عن ضالّته.

منذ متى وأنت تخدعني؟!!، قارب العامين وهو متزوج من امرأةٍ ولودٍ لها البنات والبنين، وماذا أنجبت منها خلال العامين، أتذكر لم نكمل عامنا الأول من الزواج إلا وقد رزقنا الله بابنتنا، وبعدها تابعت أكثر من طبيب وكلهم أكدوا أنه ليس لديّ أيّ مشكلة تمنع الحمل.

وعلى العكس من ذلك حين مرضتَ أنت وذهبنا للطبيب وطلب إجراء بعض الفحوص وتسلمت النتائج وطمأنتك أنك بصحة جيدة، لم أُرِد أن أحزنك، فقد أكّد أنك لن تنجب ثانية .

لم يُعِر لكلامي أيّ اهتمامٍ وبدا وكأنه لم يصدق كلامي، وأنني أقول هذا انتقامًا منه ردًّا على ما فعله.

مضت الأيام، والحال بيننا يسوء، لكنني في حيرة من أمري، فقد أنفقت كل ما أملك على جنتي التي أعددتها لزوجي، وأصبحت مديونة لجهات عديدة، أترك ما صنعته على عيني، ليأتي بها لتستمتع بما حاربت لصنعه وإعداده، وابنتي التي مازالت في مرحلة التعليم، هل سينفق عليها أم على أبناء زوجته الثانية؟!.

لم أجد أمامي طريقًا غير أن أعلم والديه بما فعل بي، وبدأ بلومه وتهدأتي، حتى إخوته وبّخوه، وأتوا بها أمامي، هذه المرأة شريكتي في حبيبي، لا لم

يعد حبيبي، بداخلي صرخة تهز الكون لو خرجت، أخرجت البعض منها، وما بداخلي هو الأكثر.

أصبحت لا أطيقه ولا أستطيع النظر إليه، قتلني، وماذا بعد؟!، الكل أجمع على أن يطلّقها، وافق لكنه كان قد كتب على نفسه مؤخّر صداق كبير، كيف أدفعه لها؟ فاستشرت صديقة لي، ونبّهتني ألّا أفعل، موضحةً أنه كلما أعجب بامرأة فسيتزوجها، وعليّ أن أستدين وأدفع لها.

كما أدخل نفسه في هذا الموقف، عليه الخلاص بنفسه.

لكنى باقية في مملكتي التي صنعتها على عيني، وإن أراد هو أن يذهب فليذهب، لن يكون زوجًا لى بعد اليوم، حتى ونحن نعيش معًا في مكان واحد. فقد قطع أواصر المحبة والثقة بيننا، أنا هنا لأجل ابنتي وبيتي الذي أفنيت فيه عمري ومالي.

MH

الندم

إنها طالبة الثانوية العامة، خمرية اللون ذات الشعر الأسود كلون الليل، ذات الجسد المكتنز، خفيفة الظل، لها حياتها، تذهب إلى مدرستها في صحبة صديقات لها، تحلم بمستقبل وظيفي وعلمي تحققه وتسعى لأجله ليل نهار.

ففي فترة السبعينيات كان تعليم الفتيات والتحاقهن بالجامعة لا يحصل عليه إلّا عدد قليل منهن، يتوقّع لها الآخرون مستقبلًا أفضل، وغير ذلك من نظرة المجتمع لها، كما يقاس مدى التزامها الأخلاقي بما تحصل عليه من درجات في اختبارات العام الدراسي، وكان الجميع يتلهف لترتيب هؤلاء الفتيات ومدى تفوقهن على أمثالهن من الذكور، ويشار إليها بالبنان.

إلى أن رأته، إنه الشاب الوسيم ذو البشرة البيضاء والشعر الفاتح، حلو اللسان، رقيق الكلمات، أعجب بها، وبدأ يتعرف عليها ويتبعها وأحبّته، وفعلًا تقدم لخطبتها بعد اجتيازها اختبارات السنة الثالثة والأخيرة في المرحلة الثانوية، وتمّ الزفاف، وظهرت نتيجتها، وقد نجحت، وتقدمت للالتحاق بالجامعة، وبالفعل التحقت بكلية التجارة.

وما هي إلا أيام وبدأت تشعر بعلامات الحمل، إنها ستصبح أُمًّا، والحمل به بعض الصعوبات، مما استلزم الراحة وعدم الحركة وغير ذلك من الإرشادات التي يوجهها الطبيب لها ولزوجها، وكان العام الدراسي في تلك الآونة عامًا كاملًا وليس بنظام الفصلين الدراسيين كما هو معمول به الآن.

مرّت شهور الحمل على أمل أن تتقدم للاختبارات، لكنه وقت وصول ولدها إنه الطفل الجميل التي أخذ معظم ملامح الزوج، والأم ذات العشرين عاما، لا تستطيع تركه، كما أنها لم تحصل على المحاضرات من زميلاتها، وبالتالي رسبت في هذا العام، على أمل أن تحاول في عامها القادم، وقررت أنها سوف تترك ابنها لوالدتها، أثناء ذهابها للجامعة، وستعاود رحلتها الجامعية.

وتفاجأ بأنها حامل للمرة الثانية، وفي كل مرة تجد زوجها يدللها، ويعلن أنه يريد راحتها، ولها كامل الحرية في أن تفعل ما تريد، وهي لا تجد غضاضة في هذا، وتأتى طفلتها، وتمر السنون وهي في هذه الدوّامة، وتلد طفلها الثالث، ولا تجد لديها أيّ وقت للدراسة، وزوجها يغدق عليها يمينا ويسارا، ويزيد على كاهلها من الأعباء وهي الزوجة المتفانية في حبها لزوجها وأبنائها.

وتتغير بها الأحوال لتجد زوجها يزداد انشغالا عنها، ليوفّر لها ولأولادها ما يحتاجونه، و بدأ بإهمالها، وبفرض عائلته عليها، وعمل العزائم واستقبال الضيوف، وعتابه المستمر لها إن بدا منها أي تقصير أو علّق أحد المدعوّين على شيءٍ سلبيٍّ.

وبدا لها رجلًا آخر، لا تعرفه كثير السُّباب، وكان لا يرضى مهما قدّمت، دائم اللوم والنقد، فهو يعرف مدى حرصها على نظافة بيتها، فيكيد لها ؛ ليلوث مفروشات المنزل، ويستخدم الستائر عوضا عن المنشفة، وإن علّقت يقول: «وانتِ دورك إيه في البيت»، ويتفنّن في إيذائها، بمقارنتها بأيّ من زوجات أقاربه اللاتي أكملن تعليمهن والتحقن بالعمل ويساعدن أزواجهن في الإنفاق على أسرهن، وكيف أنهن يجيدن اختيار ملابسهن وزينتهن، وهي في رأيه لا تضاهي أيًّا منهن، ونسي أنه هو من أدخلها في هذه الدوّامة.

أحال حياتها جحيمًا، وبعد فقدان والدتها تلاها والدها، لم يعد لها أيّ سند ولا مأوى، فماذا تفعل وليس لديها أيّ اختيار، إنه مأواها، وبدأ حبها يخفت ويضعف، لم تعد تذكره، كرهت حياتها معه، لكن لا بديل، حتى الانتحار لم تتردّد فيه لكنّ عناية الله أنقذتها.

ومرّت بها السُّنون والهم يتضاعف، وهي تدور في ساقيته وفي فلك أبنائها، وفي كل يوم يزيد عمرها عقدًا كاملًا، وبكاؤها لا ينقطع، وفي كل يوم تشعر أنها والأموات سواء، أو هم أفضل حالا منها، فقد عرفوا وجهتهم، أمّا هي فلا تعرف وجهتها ولا نهايتها، تعيش حزنها، وبدأت تشعر بألم في عينيها.

وذهبت للأطباء، ليوصوا بإجراء عملية لعينيها، فشبكة العين اليمنى قد تقطعت وفقدت الرؤية بها، نتيجة لخطأ ما أثناء إجراء العملية، والعين الأخرى

ضعفت أكثر مما كانت عليه، لتفقد البصر، بعد أن كانت كحيلة العين، زهرة شابات العائلة والجيران؛ فقد أنهكها الحب، والزواج والمسئوليات، والحياة المتعبة مع من اختاره قلبها، ذلك الذي نجح في نزع جناحيها، الجمال والعلم، حتى ثقتها بنفسها قد فقدتها.

وتمنت لو عادت بها السنون، لتغير اختيارها وتعدّل مسار حياتها، وتجمع بين حياتها الخاصة وتعليمها الذي أهدرته، لكنها كانت قد نسيت أن التعليم له زمن وينتهي لن تعاني طيلة عمرها من هذا الدور، سنوات محدودة وتحصل على شهادة تؤهلها للعمل.

لكن بعد فوات الأوان، بعد ضياع العمر والفرص المختلفة والصحة والسند وغير ذلك، وكتب عليها البقاء حتى أخر العمر، مع من أحبته في يوم من الأيام، وقضى على أجمل ما فيها، ونسيت انه لن يسمح لها باستكمال تعليمها، لأنه لم يكمل تعليمه الجامعي.

دبَّ الشّيب بهما، ووهن العظم، وماتت الأحاسيس والمشاعر، أما البكاء فمازال، لكنه بكاء على اللبن المسكوب الذي لا فائدة منه سوى جلب الحزن والاكتئاب والهوان وفقْد الأمل في الحياة، وكأنها بانتظار زائرها الذي سيخلّصها من هذه الحياة، في حياة تتدرب عليها لا تختلف كثيرًا عن القبر الذي ستسكنه حين يحين موعد الرحيل.

MH

زقزقة العصافير

كلّما أخلو لنفسي أتذكرك، وكأنك جزء منى، أتوه عنك فقط لأدوار أعيشها، لكني لا أنساك، فأنا دائما أحادثك، وأسترجع رقيق كلماتك، تثير عقلي وتحاوره، لكني ألتقطها وأجيب، وأضحك وأكاد مع كل كلمة أعلنها أنى أحبك، عيني وبسمتي تعلنها أني أحب، دائمًا معي وفي ذاكرتي.

حين أصحو أتسابق مع نفسي لأعلن أن اليوم لا يبدأ عندي إلا بذكرك، فأرسل لك أجمل وردة مصحوبة ب «صباح الخير».

وأختلس الدقائق لأهاتفك وأسمع صوتك، وأختلق الموضوعات كي يطول حديثي معك، ونتطرق لكل الموضوعات، فقط حتى أسمع صوتك وأطمئن عليك لأطول وقت ممكن، فقد أصبحت من أهم عاداتي كأنك لا تفارق قلبي أو عقلي، بل وتصاحب دقات قلبي وهمسات عقلي.

أناشدك وأدعو الله أن يجمعنا معًا، حتى لا نفترق، كي تهدأ نبضات قلبي وبدلًا من أن تنبض بحثًا عنك، تنبض لتعانقك، وتهتف باسمك،

أرسم كل يوم ملامح حياتي معك، لا أستطيع أن أتخيل كيف سنفترش نفس الفراش، وكيف ستكون وسادتي ذراعك، والنغمات المصاحبة لنومي هي دقات قلبك، والهواء الذي أتنفسه مرَّ بصدرك، ولتكتمل لوحتي بأن بشرتي بها بقايا من لمساتك، كيف سأجرؤ على الاغتسال والتخلّي عن بصماتك التي على وجهي وجسمي.

أظن أنني لن أبارح صدرك؛ فاشتياقي لك لن يروي بين ليلة وضحاها، لا يكفيني ما تبقّى من عمري ليعوضني بعدك عني، أحتاج فوق عمري أعمارًا، أعانقك فيها، وأستسلم بين يديك حبيبة أثلجَ صدرها حبيب يروي ظمأ حبها، ويروي أزهار حياتها التي كادت تذبل وحيدة دونك.

اليوم أعلنها أنه يتسابق مع الزمن ويخطو خطواته سريعًا ليعد مسكننا الذي سنلتقي فيه بلا فراق إلى الأبد.

ما أجمل ساعات الرضا بيننا حين نتحاور ونتفق، حين نتعانق ونلتقي على شوق، كلما أتخيل أننا سنكون معًا أشعر أنني في طريقي إلى الجنة.

حبيبان، آمال تحققت وحياة رُسمت بلا شقاق أو تعب، رحلة انتهت ورحلة تبدأ، إنها مكافأة القدر، فقد حُرمت هذا الشعور طيلة حياتي، فقد أفنيت حياتي في خدمة والدتي ووالدي، واعتنيت بهما ورعيتهما، ورحلا وهما يدعوان لي، بأن يعوضني الله عن عمري الفائت، وعن كل ما قدمته لهما.

فأنا ابنتهما الوحيدة، وأملهم ومستقبلهم وزهرتهم التي ظلّا يرويانها بكل ما لديهما من عمر وجهد ومال وصحة، فلم أبخل بكل ما لديّ، ووهبت حياتي لهما، إلى أن تركاني وحيدة، أعاني الحرمان والوحدة، وأعيش معهما ذكرى وأدوار، وأفتقد رعايتي لهما ونصائحهما وحنوهما عليّ.

إلى أن جاء حبيبي ليحنو على ويضمني لصدره ويحتويني، ويعوضني عمّا فات من عمري، أحسست أنه أعادني للحياة بعد أن تأكدت من أني فارقتها إلى الأبد بفراق والدي.

اليوم أتنفّس، قلبي ينبض ويحيا ويفرح، وترتسم البسمة على شفتي، وعيناي عاد ضؤوها ببريقه ينادي حبيبي، ويوجّهني وجهته لاحتياج لن يلبيه غيره، فهو من يستحقني؛ فحياته كانت مثلي، ضحّى بالكثير، واليوم كافأَنا القدر بأن جمعنا معًا، علّها مكافأة نهاية الخدمة أو مسابقة فُزنا بها.

بعد أيام سنكون معًا، ومشاعرنا هي التي توجهنا، ونحن نستجيب لها فقد فقدنا صدورًا كنا نرتمي عليها وقت حزننا وفرحنا، وألقينا معها كل همومنا واليوم قد عوّضنا الله ببعض.

فقد هجرت كل مَن حولي لا صديقة ولا صديق، وكل من حولي زملاء وقت عمل، إن انتهى وقت عملنا تباعدنا إلى أن نلتقي في يوم عمل آخر، مع بعض المجاملات الاجتماعية والإنسانية، وأعود لوحدتي مرة أخرى.

اليوم جاء دور الأمل بوجود حبيبي ليخرجني من ظلمة أحياها، ذلك هو فارس أحلامي الذي سيحملني على حصانه الأبيض وينطلق بي إلى جنتنا التي تعاونّا في انتقائها وفي تجهيزها بكل الحب والرضا إنها تنتظرنا وها نحن قادمان.

وجاء يوم الزفاف وألبسوني ثوبي الأبيض، وكنت كفراشة تفرد جناحيها لتطير إلى صدر حبيبها، وتلقي برأسها عليه ليعيد لها الأمان والحنان، ليشعرني لذة الحياة التي حُرمت منها، وقد أعدّوني لحبيبي والعيون حولي تتساءل، عروس في مثل هذا السن وعريس يشبهها؟!

لكنه الحب الذي أزال من فوق ملامحي علامات الحزن والشقاء، فمنذ أن عقدنا قراننا، والكل يحسدنا على حبنا، ويستكثروه علينا، أسمّي وأكبّر في نفسي، إنهم لا يعرفون شيئًا عمّا عانيناه سنوات عمرنا الفائتة، وقلبي يتمتم بكل التمائم حتى يحفظنا الله من عيونهم، إنها نهاية المطاف.

وأغمضت عيني، ما هذه الأصوات إنها العصافير تزقزق وتنقر زجاج شرفتي لقد طلع النهار لماذا أيقظتني أيتها العصافير؟ كنت على وشك فتح باب الحياة ودخولها إنها بُشرى خير، فهي تعزف لتُحيي بقلبي الأمل، ربما أجده في يوم من الأيام.

MH

وجوه

في خضمٍّ يوم عمل طويل وشاق، جلست على أريكة بمكتبي، لألقي برأسي وأريح ظهري، كي أتنفس، فقد كتمت أنفاسي طوال اليوم، سمعت من يهمس ويتهامس، إمّا مادحًا أو ناقدًا، وواجهت أراء تدعونا للسير نحو الخلف، وشاهدت نظرات كادت تقتل أصحابها ومن ينظرون إليهم.

ما كل هذا الحقد؟!، ما كل هذه الكراهية بين الزملاء؟!، إن رأيتهم وهم يتعايشون معا، ويتناولون وجباتهم ويتشاركونها، حسبت أنهم كالأشقاء في حب ووئام، وحواراتهم التي لا تنضب.

أمّا أمامي فيخلعون أقنعتهم، لينتقد هذا الآخر، ويغتابه ويكاد يسبّه، في كلا الجنسين، وبطبيعتي لا أعطي مثل هذه الأمور أي وزن.

علاقتي بكل من أرؤسهم لا يحكمها إلا عملهم وأداؤهم، وعلى مدى فترات عملي المختلفة عرفت كل منهم بمنتهى الوضوح، وأميّز؛ فنحن بشر بكل منا الميزة والعيب.

فحرصت كل الحرص على أن أخرج من تصرّفاتهم وعملهم أجمل ما فيها، والكل ينظر لي، وكأنه يريد أن يعرف كيف وازنت الأمور بهذه النظرة، في رأيي أن هدفي الأسمى هو أن يقوم كل منهم بواجبه، ونحقق هدف شركتنا.

مر برأسي وأمام عيني كل ما دار اليوم، لكنني فجأة، وجدتهم جميعا حولي، يرتدون أقنعة مخيفة، وكأنهم أشباح مرعبة، أو فصيل من الجان، وبأيديهم أسلحة، كادوا ينهالون بها عليّ، وأنا مازلت في حالة الاسترخاء، وكأنني مكبّلة الأيدي والأرجل، وبحوارٍ هادئ سألتهم: لِم؟، ألم أوفِّ كل منكم حقّه؟، ألم أعدل بينكم في المعاملة وفي المكافآت؟، ألم أتعامل معكم كزميلة؟، ولم أحتدّ أو أرفع صوتي على أحدكم، ألم أنجح في النهوض بشركتنا لنصبح من أفضل الشركات حتى أصبح انتمائكم لهذه الشركة نقطة بيضاء في سيرتكم الذاتية، ألم أحفظ أسراركم؟، واغتيابكم لبعضكم البعض؟.

فأتى من خلفهم شاب أمَّن على حديثي، ودافع عني، فتبدّلت بعض الوجوه، لتتعاطف معي لكنها تراجعت فقط عن مهاجمتي، ولم تمنع الآخرين من مهاجمتي.

غرسوا سيوفهم في قلبي وفي عيني، نزيف أغرق مكتبي وفاض، ولم تستطع قدماي أن تحملاني؛ لأنجو من هذا الخضمّ، دماء تكاد تنطق، لا تستجدِ ولا تستعطف، فقد أحكموا قتلى وأزهقوا روحي، وفقأوا عيني، حتى كدت أشكّ أني على قيد الحياة، أرى وأسمع وأجتاز الخطوات.

أصبحت كغريق والكل حولي ينتظرون سقوطي وإعلان نهايتي.

صدمة آلمتني وتمنيت وقتها سرعة السقوط، لم كل هذا الكره والحقد؟ لم هنت عليهم؟ ليتها اللحظات الأخيرة فإذا بصوت الكأس يهوى من على مكتبي لينكسر.

وفتحت عيني، كابوس رهيب، سأرحل، لم يعد قلبي يحتمل، ضاق بي المكان، وضقت بكل من به، سأعود لمنزلي، وسأخذ قسطًا من الراحة علّي أفهم ماذا يعني هذا الكابوس، أو تفسّره المواقف التالية لكلٍّ منهم وبعدها سأتّخذ القرارات المناسبة.

سيدة النادي

لفتت نظري امرأة في عقدها الرابع، تجلس وحدها في النادي، تأتى كل يوم في الحادية عشر صباحًا، تحتسي فنجان القهوة، وتقرأ جريدة في يدها أو كتاب، وما هي إلا ساعة أو ساعتين وتنصرف.

رشيقة القوام، رقيقة الملامح، يعلو وجهها ابتسامة حين تخاطب النادل، أو حين يقترب منها طفل أو طفلة، وكأنها على موعد مع عاداتها في نفس المكان في النادي.

حاولت التعرّف عليها، لكني لم أعرف كيف أبدأ واكتفيت بملاحظتها من بعيد، وكانت غالبا ما تجلس بوضع معاكس لي وكأننا في مسرح، ألمح ابتسامتها وإشراقة وجهها.

وكانت من عاداتها أن تتّشح بإيشارب أو شال، وحين تجلس تخلعه عنها وتضعه خلفها أو على كرسي آخر بجانبها، وفي إحدى المرات كانت الرياح قوية، فأسقطت شالها، ولم تلحظه، فنهضت من مكاني وأمسكت به، وأعطيته لها، وشكرتني.

لكنني تحينت الفرصة لتعريفها بنفسي، فأنا لاعب كرة قديم ولي قدر، وأنا الآن رجل أعمال، لكنني بكل ما عرضت عليها من معلومات، لم أجد في عينيها أي تعبير لا بالسلب ولا بالإيجاب، تركتها وعدت لمكاني.

وفي اليوم التالي أتت وجلست كعادتها، لكني في كل مرة أراها وحدها بلا صديقة أو صديق، حتى أصابعها تخلو من أي رمز للارتباط، أتفقدها ملامح وجسد وأزياء، هذه عادتي حين أنظر إلى أي امرأة.

فالكل يعلم أنى خبير في معاملة النساء، وفي التقرب منهن، وهذه المرأة التي أمامي كأنها تستنكرني، فقلت لم لا أذهب إليها وأحييها، وأبادرها بكلمة من كلماتي التي تهواها النساء.

حين رأتني كأنها لم ترنى من قبل، لكنها ردت التحية، وأعادت عينيها لكتابها في هدوء، استشطتُ غضبًا، لكني لم أُظهر شيئا، وانصرفت وعدت لمكاني.

لكني لاحظت أن سايس الجراج جاء وأخبرها بشيء غيّر ملامحها، فأشرت له لأفهم الأمر فأخبرني أن سيارتها قد صدمها أحد أعضاء النادي، وتحتاج إلى التواصل معه، فقد أخبر السايس أنه مستعد لإصلاحها، فقلت لِم لا ألحق بها إلى الجراج، وأساندها في حوارها.

وبالفعل وجدتها تتحدث مع صديق لي هو من صدم سيارتها، وتدخّلت في الحوار، ووعدت صديقي أنني سأفعل ما تطلبه هذه السيدة، فليطمئن كأنه هو بنفسه الذي سيفعلها، وطلبت منها أن تدير سيارتها، لأرى إن كان الموتور قد تعطل أم أن الصدام فقط في الإكسدام والرّفرف الأيمن، وأعلمتها أن الأمر بسيط.

هناك سمكري سيارات ممتاز سنذهب إليه وربما يصلحها في أقل من ساعة، وتبعتني بسيارتها، وذهبنا إليه، ونظرا لمعرفته بي، فوعد بإصلاحها في خلال ساعة، فعرضت عليها أن تتركها له، ونجلس في كافيه قريب من الورشة، نحتسي أي مشروب حتى ينتهي، واستجابت ودخلنا الكافيه.

فرصتي ولن أضيعها، بدأت أولًا بالاعتذار نيابةً عن صديقي عمّا فعله بسيارتها، وأكملت أنها فرصة سعيدة لأنها جعلتني أتعرّف عليها وأجالسها، ابتسمت وعينيها لا تفارق ساعتها.

فسألتها إن كان لديها موعد، أجابت لا، لكن برنامج يومي سيختل، عرضت عليها أن أوصلها إلى حيث تريد، وبعدها أحضر لها سيارتها في المكان الذي تحدده، فشكرتني وانتظرت معي

الغريب أنها لا تملك سوى الردود المقتضبة على أسئلتي نعم أو لا، وبدهاء شديد سألتها: وأين زوجك؟، فقالت: إنها مطلّقة، أخيرًا نطقت بشيءٍ آخر، وهل أولادك بالمدرسة لنذهب ونحضرهم بسيارتي، فأجابت: ليس لي أولاد.

لا أحد بإمكانه أن يتصور مدى سعادتي بما قالته، إنها لي لقد فزت بها، بقى عليّ أن أجود في تقديم نفسي وبطولاتي، وعملي الحالي، لكنني وكأنني أحدّث المقعد الذي بجانبي، عيناها لم تفارق ساعتها، وانتهى السمكري من إصلاح سيارتها، شكرتني وانصرفت، وتسرّبت من بين يدى.

أنا لا أحب إحساس الفشل، وهذه المرأة صدتني كثيرا، ماذا أفعل؟ لم أعتد مثل هذه المواقف.

وفي اليوم التالي لم تحضر، وحتى اليوم الذي تلاه، إلى أن حضرت بعد حوالي أسبوع، وجلست جلستها المعتادة بكل طقوسها، لم تنتبه لوجودي، فنهضت من مكاني وحييتها، وسألتها عن سيارتها بينما في عقلي سؤال آخر، لِم لم تأتِ الأيام الفائتة؟ فأجابت: تمام، وشكرتني، لكني لم أستطع الصمود أكثر من هذا:

غبتِ أيامًا ولم تحضري

فنظرت إليَّ نظرة، فهمَتْ لِم السؤال؟ لكنها ولأول مرة تظهر ابتسامة رقيقة على استحياء:

أبدًا أصبت بنزلة برد، منعتني من الخروج، واليوم أنا أفضل، وعدت أمارس حياتي بشكل طبيعي

فأظهرت تعاطفي معها، وطلبت منها أن تجلس، وكأنني أجلست نفسي معها.

وأتى النادل بقهوتها المعتادة، وطلبت منه إحضار النسكافيه الذي أتناوله يوميًّا، وحاولت مرارًا وتكرارًا أن أستقى منها معلومات عن حياتها الخاصة، وقد أخبرتها أني متزوج، ولديّ ولدان أحدهما مهندس والآخر محاسب في بنك، وزوجتي تعمل وأوصلها إلى عملها يوميًّا، وأحضر للنادي وأجلس جلستي وأذهب لمكتبي، وأعود إلى منزلي متأخرًا.

وهي تسمعني ولم ترمقني بنظرة واحدة، أعترف أنى لست وسيما، لكنى نجم رياضي كبير، ورجل أعمال ناجح، وبعد ساعة قررت الانصراف، وودّعتني.

تكاد عيناي تخرجا لتلاحقها، وأستشيط غضبًا وغيظًا، وقرّرت ألا أقترب منها مرة أخرى، فقد استنفذت معها كل حِيَلي، وأعلنت فشلي.

لكني لن أغير عاداتي لأجلها، في اليوم التالي ذهبت للنادي، وجعلت ظهري في مواجهتها، لم أعد أهتم حضرت أم لم تحضر، فإذا بها أمامي تلقي التحية علىَ، وتعتذر عما فعلته معي، موضحة أن ذهنها شارد، لديها بعض المشكلات، وهمّت بالانصراف، فأتممت دوري كجنتل مان وطلبت منها بإلحاح أن تجلس، وأشرت للنادل أن يحضر قهوتها ومشروبي، وكأني ورّطتها في الجلوس معي.

وبدأت في توجيه أسئلتي لها، كي أعرف معلومات أكثر عنها، بدأت ألاحظ عليها حالة من الإعياء، وبدأت في الضغط على جبهتها ورأسها، الصداع، فعرضت عليها ان نذهب لطبيب النادي، وبالفعل أكد أن ضغطها عالي، وأعطاها بعض العقاقير، وتعاطفت معها كعادتي.

وعرضت عليها أن أوصلها للبيت، بحجة أن القيادة في مثل حالتها خطر عليها، ونظرا لما تعاني منه وافقت، وذهبت معها لكنها شكرتني وودّعتني دون دعوة للصعود إلى شقتها، صبّرت نفسي ربما غدًا تكون الدعوة.

لكنني ألححت في طلب رقم هاتفها لأطمئن على حالتها، وأخيرًا استجابت، مكسب كبير لي، بعد ساعتين كنت في مكتبي، اتّصلت بها، وسألتها عن حالتها، وإن كانت تحتاج إلى شيء، شكرتني وأغلقت هاتفها.

حاولت مرارًا وتكرارًا أطلبها بعد ذلك، لكن هاتفها كان مغلقًا، بدأت أتوتّر ولم أدرِ ماذا أفعل؛ فنزلت وركبت سيارتي واتّجهت إلى العمارة التي تقطن بها، ووقفت أفكّر ماذا أفعل أنا لا أعلم في أي طابق ولا رقم الشقة.

تراجعت وعدت لمكتبي، وفي كل ساعة أحاول الاتصال بها ونفس الرد «الهاتف ربما يكون مغلقا»، وبتُّ ليلتي بلا نوم، لا أعرف ماذا أفعل.

وفي الصباح ذهبت للنادي، ولأول مرة وجدتها قد سبقتني، فاتّجهت إليها بلهفةٍ، وقابلتني بابتسامة رقيقة:

- كيف حالك؟

- الحمد لله

- قلقت عليكِ، وكلما حاولت الاتصال بك يكون الرد أن هاتفك مغلقا!

فعلًا لم أنتبه، لقد نفذت بطاريته، وفي وقت متأخرٍ من الليل اكتشفت ذلك، وقمت بشحنه ورأيت رقمك، لكنني لم أستطع الاتصال بك في مثل هذا الوقت، وفي الصباح حضرت إلى هنا

دعتني للجلوس معها

وجدت فنجان القهوة فارغا!!

لم احتسيتِ القهوة؟ ألم يقل الطبيب إنها ترفع الضغط؟

أنا أفضل، ربما ما حدث بالأمس بسبب الإرهاق فقط

جلسنا لأوّل مرة أراها تتحدث وتجيب بالتفاصيل، كم سعدت بهذا اللقاء، لكنها كعادتها في موعدها المحدد همت بالانصراف، عرضت عليها أن أوصلها إلى منزلها، فأجابتني بأن سيارتها معها وانصرفت بعدها لعملي.

وبعد حوالي الساعتين، حاولت الاتصال بها، لكن هاتفها كان مغلقًا، فصبرت نفسي ربما تنام فترة الظهيرة، وفي المساء اتصلت بها، ردّت وأعلمتها أنني حاولت الاتصال بها وكان هاتفها مغلقا

فأجابت أنها تفضل أن تنعزل عما حولها بإغلاقه عدة ساعات، والمقربون منها يعلمون ذلك، وها أنا ذا أعلم أيضا، فسألتها هل من الممكن أن تذهب للنادي في المساء، فأجابت: «لا»، ولم تعطِ أي تفاصيل، وأنهت المكالمة.

وصبّرت نفسي أنني غدًا سأراها في النادي، لكنها لم تحضر، ومرت عدة أيام، ووجدتها بعد غياب حوالي اسبوع، وكنت كطفل وجد أمه، بعد تيه، وذهب ليرتمي في حضنها، فقابلتني بجفاء لم اعهده من غيرها، ولا حتى منها هي لقد تغيرت.

فقد كانت تحدّثني بطريقة أفضل، لكنها بعد أن عادت، عادت كأول عهدي بها، بجفاء في ردودها، ورأيت بيديها، خاتم الزواج.

لكنى لم أتردد في السؤال، هل تزوجتِ؟

أجابت: لا، لقد عدت لزوجي، فقد كانت هناك العديد من المحاولات لإصلاح ما بيننا، ووجدت أنه لا مفر، لِم لا أعود إليه؟ فقد عانيت الوحدة والقلق فترة انفصالنا؛ فعدنا.

(كدت أنقضُّ عليها، لكني لا ألومها، فأنا لم أعلن حبي لها، أو رغبتي في الارتباط بها، وقد أعلمتها أنني متزوج ولى أسرة، فكيف ستدخل حياتي، لقد أغلقت الباب بيني وبينها، لكني الآن أعلن أني أحببتها، لكن الأوان قد فات وعادت لزوجها.

لأول مرة في حياتي أعترف أنني لا أعرف شيئا عن النساء، أنا من يدّعى الخبرة بهن، وكلهن كالخاتم بإصبعي، جاءت هذه المرأة لتهزمني، وتعلن أنها لن تكون لي، أو رهن إشارتي، عادت لرجل لم تقل لي عن مدى رضاها عنه أو غضبها منه، لكنه الآن زوجها، فباركت لها عودتهما، وألقيت عليها التحية، وانصرفت أجرُّ أذيال الفشل).

MH

«أوتو ستوب»

في طريق عودتي أنا وزوجي من زيارة لأسرة مصرية بولاية الجزائر العاصمة، بدأت الأمطار فى الهطول وزادت شدتها؛ فأغلقنا نوافذ السيارة، تاركين بضع سنتيمترات فقط للتنفس.

كانت على رجلي طفلتي الصغيرة ذات الشهور الخمسة، ترتدي بدلتها الصوف والبُرنس التريكو الذي يغطى رأسها، وينسدل على باقي جسدها.

ومساحات السيارة تسمع ضجيجها في كسح مياه المطر من فوق الزجاج، وزوجي في مثل هذه الحالة يطالبني بمتابعة الطريق معه، فأنبّهه لوجود سيارات أضوائها الخلفية معطلة، أو بعض المركبات المتوقفة لأعطال بها، فعيناي معه على الطريق طيلة الرحلة، أرقب الطريق وأبلّغه، كنت أشعر وكأنني أعلق على مباراة كرة قدم، وكنت على غير حالي الآن؛ فكنت أتميز بطول البال، وهدوء الأعصاب .

قطعنا مسافة طويلة وسط الأحياء المختلفة من «حي العناصر» مرورا بحي « ديار العافية « وبعدها « منطقة الخروبة « وكانت بها الجامعة التي التحقت بها، بعد زواجي وانتقالي للعيش معه بالجزائر.

ثم بدأنا الطريق الذي يكاد يخلو من البنايات السكنية، لنحاط من كل جوانب الطريق، بمزارع تمتلكها الدولة، تزهو بثمار البرتقال واليوسفي، لكن في ظلام الليل لا تستطيع أن تميز أي نوع من الأشجار حولك، فكلها تبدو داكنة اللون، ناهيك عن الأمطار التي تقلل من الرؤية ومن استشفاف هويتها، وكنا باتّجاه ولاية بليدة التي يعمل بها زوجي، و لنا بها منزل على طراز الريف الأوروبي والأكثر دقة البيت الفرنسي المغطّى بالطوب الأحمر، ويتميّز أيضًا بشكله الهرمي حتى يسمح بانسياب مياه الأمطار، ويخترق هذا السقف مدخنة الدفّاية التي تعمل بالمازوت والتي لا يكاد يخلو منها منزل في هذه المناطق، وكان في مقدمة منزلي شجرة زيتون عتيقة، وكان للمنزل باب خلفي يطل على حديقة خاصة بالمنزل بها «تكعيبة من العنب» بها شجرتان عتيقتان منظرهما رائع.

سرنا كثيرا حتى قطعْنا المسافة التي تصل إلى حوالي ٤٠ كم بداية من الجزائر العاصمة إلى ولاية بليدة، وفي أثناء سير زوجي، لاحظت وجود رجل يقف وسط الطريق، ويستخدم إشارة ما، تسمى بالمجتمع الجزائري «أوتو ستوب»، وكأنه قاطع طريق، يكاد يوقفنا عنوة، ونبّهت زوجي له وبأنه بالإمكان اصطحابه معنا إلى أقرب مكان في طريقنا، واستجاب زوجي وتوقف بالسيارة، ليسأل الرجل عن وجهته، وتبيّن أنه في طريقنا، وفتح باب السيارة؛ ليركب في المقعد الخلفي

وكعادة الجزائريين كلامه قليل، وبالطبع قد عرف من لهجة زوجي أننا مصريون، في اللحظة التي استقلّ الرجل معنا السيارة انتابتني حالة من القلق، لا أستطيع وصفها، من يكون؟ وكيف توقفنا وأخذناه معنا؟ ربما يكون مجرمًا كما نرى في معظم الأفلام الروائية أجنبية أو عربية، ربما يشهر سلاحًا أبيض أو غيره في رأس زوجي، أو يخطفنا، أو ينزلنا من السيارة ويتركنا في هذا الظلام الحالك وتحت الأمطار، وطفلتي الصغيرة، ماذا سوف يحدث؟

أصبت وقتها بحالة من الهلع، بدت عليّ علامات الخرس، فلم أنطق بكلمة واحدة، ربما حتى لا يتضح مدى الخوف الذي ينتابني، استمرّ الصمت حتى زوجي كان أيضًا صامتًا، إلّا أنّ الرجل كان قد أشار أنه اقترب من مكانه وطالب زوجي بالتوقف لإنزاله، وقدّم له وافر الشكر، وعرّفنا بنفسه، وحدّثنا كيف تعطلت سيارته، ودعا زوجي لزيارة قريته، وبأنه سيكون سعيدًا لردّ هذا الجميل.

في هذه اللحظة تبدّد خوفي وانتظمت دقّات قلبي، وإن كنت خلال وجود هذا الغريب بسيارتنا أتصبّب عرقًا على الرغم من برودة الشتاء ونزول المطر في شهر ديسمبر ١٩٨٣، وهو أشد قساوةً في برودته في بلاد المغرب العربي

وبعد نزوله، تحدّث زوجي الذي أبدى أنه أيضًا كان متخوّفًا من وجوده معنا، وأنّ وقوفه كان مجازفة، وكيف إنْ لم يكن هذا الرجل بهذه الأخلاق، ماذا كان سيحدث لنا؟

كان حبيبي يومًا ما

اليوم نلتقي، سنوات ضيعتها بعنادي وهروبي بلا عذر، أُسرع الأيام يومًا بعد يوم وأؤجل اللقاء، حتى يسافر، وأكرِّر، اليوم هل سأصدّقه ما وعدت، نعم سأحاول، أنا أعرف نفسي كثيرة الهرب، أراوغ حتى يمر الوقت وأعتذر، ضاع عمري بلا حبيب يروى بقلبي الزّهر.

كدت أشعر أن قلبي قد جفَّ، حتى ملامحي تعلوها قسمات الحزن، مهما ابتسمت يسألونني: ما الخبر؟، لا تعيروا لقسماتي الهم، أنا أضحك، فأصدقائي يرون أن بريق عيني قد خفت، وربما انطفأ وسلاسة ضحكاتي انفطرت، غاب عني رفيق الدرب، كنا معًا، كنا نجلس هنا، ونتنقل هنا وهناك، لا نفترق، فحياتنا كانت معا.

وإن افترقنا تعرف أنه النوم أو سفر فهو ليس قاهريّ، وإن عاد يلاحقني أين أنت، حياة حب وعمل، يعرف أني أصارحه ولا أكذب عليه أبدًا، إن قلت نعم كانت وإن قلت لا قال لِم؟ هكذا كنا.

غبنا وغابت قلوبنا عن الحياة، اليوم نلتقي، إنه يبحث عني ويؤكد أنه يريد أن يراني، فقلبه كقلبي جف، فلم يرَني حتى عن بعد، فنحن لا نتواصل أبدًا ليراني، ربما سمع صوتي عبر هاتف، لكن رؤيا العين لا، سنوات طويلة.

كيف سيكون شكله؟ هل مازال على عهدي به مُهندمًا؟ هل زاد وزنه؟ هل وهل أسئلة كثيرة، ربما غدًا عندما أراه تجيب نظرتي عنها مرة واحدة، ألا يقول المثل الصيني «أن الصورة تغنى عن ألف كلمة» سأراه، كفاكِ عنادًا أنك تشتاقين إليه أكثر مما يشتاق إليكِ.

هل أنا خائفة أن أرتمي بأحضانه وأبكي على زمن مرّ بي دون لقياه، زمن عشت فيه وحيدة دون شريك أو حبيب، لا، سأراه وأخفي أنني ببعدي عنه خسرت الأنيس والرفيق، لِم أخفي وقد جاء طبيب جروحي وحبيب عمر الشباب، حين هاتفني وأجبته أنى سأراه، سألني هل مازلت تحبينني - هو يعلم، لكن سؤاله ليرى بعينه لمحة حب أو خجل، هو يفهمني، سأراه - حددنا موعدًا كما يروق لي، حتى هذه اللحظة متردّدة.

كنت في الشارع في طريقي إلى حيث حدّدنا الموعد، وما كدت أن أصل حتى سمعت صوته يناديني، لم أنتبه بما ناداني.

تعالى كيف أحوالك، صافحني بعين ما نسيت ابتسامتها، وصوت يكاد يبحّ من أثر السعادة عليه، أخيرًا نحن معا «كدت أن أموت دون رؤياك»، كنت في حاجة إلى ضمك لصدري أو حتى نظرة عينيك، أين أنتِ؟ لِم حزنك؟

تحدّثت، فرفيقي لا أستطيع أبدًا أن أخفي سرّي عنه، سيقرؤه من عينيّ، من ملامحي، فهو مازال يفكّ شفرتي، لكنه أيضًا بدا عليه الحزن، رغم أن ابتسامته لا

تفارق شفتيه، وقفشاته وتعليقاته الساخرة، عدنا، نعم التقينا، لكن كما يقول بعض الفلاسفة: «لن تستطيع أن تنزل البحر نفسه مرتين».

فسرُّه كما تفسره، فالماء يتحرك ويتغير في نفس المكان، نعم قلوبنا تطرب لسماع نبضاتنا، ولكن الآه بفم كلانا، رأيت بيده خاتم الزواج، لم يستطع العيش بمفرده، فقد تزوج، لكنّ تنهيدته تكشف عن حزن عميق يسكنه، صدمة ألمّتْ بقلبي وعيني.

فهم لكنه في هذه المرة حاول أن يواسيني كعادته، التقينا ولكلٍّ منا عالمه، هو يعلم وأنا أعلم ساعة مرّت وكعادتي «سندريلا» الوقت قد حان، لابد من العودة.

كلما أعلنت عن هذا يتشبّث بي، ونهض ليوصّلني إلى حيث أخذني، افترقنا وكان بقلبنا سؤالًا، لِم افترقنا وكل نبضة من نبضات قلبينا تنبض باسم الآخر؟!.

هي الحياة، ولله في خلقه حكم.

MH

هذه قصتي

حادثتُه على الهاتف كعادتي صباح كل يوم، واطمأننْت على أحواله، فأنا أعرف طقوسه اليومية، يستيقظ حوالي العاشرة صباحا، وبعدها يرتدي ملابسه وينزل ليستقلّ سيارته متّجها إلى مكتبه، فهو رجل أعمال، وله مشروعات عديدة.

أشعر أن روحي تصحبه في كل خطوة من خطواته، حتى في طقوسه، وإن لم أتّفق معه في البعض منها، لكنني أحبّه.

ما كنت أحلم ابدًا أو أتوقّع أنّى سأحب، فأنا الإنسانة الجادة التي أعشق نفسي بكل ما فيها من تفاصيل، وأنا حسب ما يزعم الآخرون مصنّفة من النساء الجميلات، كما أني أتميّز بخفة الظلّ وإجادة القفشات في الحوار، لكن في حدود اللياقة، كما يقولون عني أني أمتلك رشاقةً في الأسلوب، وحديثي يجذب الآخرين؛ فأنا أنتقي الكلمات، وإن تطلّب الموقف استخدام ألفاظ أعرفها لكني لا استخدمها أُفضّل الصمت.

وساعتها ترتسم على وجهي علامات الخجل من احمرار الوجه وارتفاع درجة حرارة وجنتيّ، كما أنهم يصفوني برجاحة العقل، ولي مركز مرموق في مجال عملي وفي حياتي الخاصة.

التقيتُه في حفل زفاف ابنة أختي، ولاحظت اهتمامه بي ومتابعته لي، وتقربه مني، ومحاولته الاشتراك في أيّ حوار أجريه، لكن حواره ومنطقه في أي موضوع يثير إعجابي.

ومع أنه ليس بالملامح التي أفضّلها في الرجال، لكنه جذبني إليه من خلال حديثه، ودفاعه عن العديد من الموضوعات.

وفي نهاية الحفل حرص على أخذ رقم هاتفي، ومرت الأيام ومعي رقم هاتفه، لكني لا أفضل أن أبدأ علاقة بشكل عفوي، لذا لم أقدم على الاتصال به، لكنه بادر بالاتصال بي، ولم أكن أعرف صوته، فعرّفني بنفسه، وتذكّرته وبدأ يسرد العديد من المعلومات عن شخصه، وعن عمله، وآخر الأخبار التي أتابعها، وأعتبرها نوع من الثقافة في الاقتصاد والسياسة.

وجاء دوري لأعرفه بنفسي، وأخبرته أنني أرملة، تزوجت حوالي عشر سنوات، ومرض زوجي وتوفي، فبادرني قائلًا: من يراك لا يصدق أنه سبق لكِ الزواج.

فقلت له: ربما لأني لم أنجب، أنا أعيش مع أمي في منزل العائلة.

وتمّ التعارف بيننا، وكان يحرص على محادثتي كل يوم ويختلق الموضوعات حتى يروى شوقه لي، من خلال أحاديثنا في الموضوعات المختلفة، وبدا يفصح عن حبه لي، وإعجابه بي، كما أنه يتمنى أن يراني

الأحداث تتطور بيننا، أنا أيضا معجبة به، لكني متردّدة جدًا في لقائه، وسوّفت في الطلب كثيرًا، في كل مرة بحجّة مختلفة.

ومن خلال حوارنا تعرّف على مكان عملي ومواعيدي، لكنه هذه المرة أصرّ على اللقاء، إنه يريد أن يراني.

واتّفقنا مبدئيًّا على اللقاء، فحضر وانتظرني أمام مكان عملي، ودعاني لتناول الغداء معه في مطعم قريب من عملي، واستجبت لطلبه والتقينا، وكان يبهرني بحديثه وأناقته، إنه في نظري «جنتل مان»، أسعدني هذا جدًّا، فقد حُرمت صحبة رجل أحبه، منذ أن توفي زوجي.

وتكرَّرت اللقاءات بيننا، وبدأ قلبي يرتبط به، وبموعد اتصاله بي، حتى أدمنت هذا الصوت الذي يهاتفني، ومرت شهور على هذا الحال، إلى أن كنت معه في أحد المطاعم أثناء تناول غدائنا، وجدت شخصًا يعرفه جيدًا أتى ليحييه بحرارة، إنه ابن عمه.

وتلقائيًّا سأله عن زوجته وأولاده، أجاب: « الحمد لله «، ولم يستطع أن يعرفه بي، هذه « الأستاذة – ماجدة – بلا كنية أو هوية، امرأة تجلس معه، أحسَست وقتها أن الأرض مادت بي، وكاد يُغشى عليّ، لكني تماسكت، حتى انصرف هذا الوافد عن لقائنا.

فقمت من مكاني، ورُحت من أمامه، حاول أن يجلسني، لم أستطع الحديث، فبداخلي ثورة، لا أريد أن يراني أحد في هذه الحالة، آثرت الصمت والانصراف.

وكان طول الوقت يطلبني على الهاتف، وكأني غادرت الحياة، لا أسمع ولا أرى فقد استدعيت تاكسي ليقلّني إلى بيتي،، وأنا لا أعرف ماذا يحدث بداخلي، قلبي يسابق الطائرة في سرعة نبضه، وعقلي كاد يتوقف، وعيناي تجمدت بهما الدموع، صراع رهيب يقتلني، كيف خدعني كل هذا الوقت، لِم لم يخبرني أنه متزوج وأن له أسرة؟ «زوجة وأبناء»، كيف لم أسأله مع من يعيش؟

لِم لم نتطرق خلال هذه الفترة لهذا؟ وصلت إلى منزلي، اطمأننت على والدتي، ودخلت إلى حجرتي دون أي حوار، وألقيت بنفسي على سريري، يكاد قلبي يتوقف، ورنين هاتفي لا يصمت، انتبهت له لأرى صورته تظهر على شاشة الهاتف، فأغلقته، وإن لم أتماسك لألقيته من النافذة، لا أريد أن أراه أو أسمع صوته.

أمضيت ليلتي أستعيد كل ما دار بيننا، كل تصرفاته، كل ما أطرب أذني به من مديح وإطراء، كل لحظات الحب، كيف أحببته؟ لقد أعمى الحب عقلي وقلبي، وحلمت باليوم الذي سيجمعنا معًا بيت واحد، لهذا الحدِّ أحببته، وتمنيت أن نحيا معًا نتنفس نفس الهواء ونفترش نفس الفراش، يضمّني حضنه حين أخلد للنوم، وحين أجلس بجانبه يحيطني بذراعيه، نقتسم الفرح والحزن، حتى إن نمنا نحلم نفس الحلم.

تمنّيت أن نكون روحًا في جسدين، وكان بحبه يؤكد هذا، لقد ذوّبَنا ُ معًا واختلطنا لنكون مزيجًا يرقى إلى شكل الملائكة بالحب والاحترام، ماذا لو عشنا معًا، سنخلق الجنة على الأرض،

وفي كل موقف أرى أن خداعه آلمني، لقد كذب، لم يعلمني بحقيقة ارتباطه الأسريّ، كيف لم ألحظ عليه أي ارتباط أو أدوار تشير إلى أنه زوج ولديه أبناء.

مرّت الأيام وبداخلي مرارة لم أستطع إخفاءها، فذهني شارد، وتركيزي قلَّ، وابتسامتي عُدْت أرسمها على شفتي، والحزن يكسو وجهي، حتى إن تحدّثت مع أي أحد أعرفه أو أي من أقربائي أو زميلاتي، يبادر بسؤالي: «سلامتك»، أنتِ متعبة؟ وأجيب: أبدًا، لكني مصابة بنزلة برد أو مجهدة

هاتفي لا يصمت، مازال يحاول الاتصال بي، «حبيبي المخادع» قرّة عيني ونبض قلبي وبريق عيني، لا أريد أن أسمع صوته أو أراه.

إلى أن فوجئت به أمام عملي في موعد مغادرتي، يقبل عليّ ليصافحني.

كيف أمد يدي لمن قتلني؟ أدرت وجهي عنه، لكنه تبعني، وأصرّ على مصافحتي، فربما بلمس يده أبدأ رحلة الصفح والغفران.

مددت يدي ليحتضنها بين يديه، إني حزينة، كم تمنّيته، كم أحببته وتمنّيت قربه، لقاء يجب أن ينتهي الآن.

في لحظة، تغيرت ملامح وجهي، الدماء تتدفق في وجنتي، والحزن يكسو عيني، والسؤال الذي لا يبارح عقلي، لماذا كذبت عليّ؟ لِم لم تصارحني؟ لكن الصمت كان أقوى، فأنا لا أستطيع الكلام الآن، فقاتلي أمامي يمد يده ويصافحني، ويحاول جاهدا نزع كلماتي، حتى لو كانت ضده.

الصمت سلاحي، وأنا كبُركانٍ يغلى، لكنه لن يفتح فُوّهته الآن، لا المكان ولا الزمان يسمح، إذًا فالقرار المصافحة والوداع معًا، وكأنّه الغريب الذي التقيته في محفل سابق، وتعارفنا فقط.

أنا: أهلًا وسهلًا

هو: أعتذر

أنا: أستأذنك لديَّ موعد مهم

هو، انتظري، فلنتحدث

أنا: عفوًا، لديَّ موعد مع طبيب والدتي

وداعًا

كل هذا وقلبي يكاد ينفطر، فدقّاته تضاعفت مئات المرات، ووجهي تحوّل لونه من الأبيض إلى داكن الحُمرة، وانطلقت لكنه لحق بي.

- انتظري، دعيني أوصّلك إلى مكان سيارتك

لا، أشكرك

- ماذا أفعل كي تصفحي؟

- أعتذر

ليس الآن.. ربما بوقت آخر، أنا الآن مرتبطة بموعد من فضلك

وأشرت بإيماءة مني: «سلام».

وانطلقت وقد فقدت ذاكرتي لا أعرف مَن أنا ولا إلى أين أذهب، وركبت سيارتي، واتّصلتُ بأمي لتستعد وتنزل في حوالي الربع ساعة، ووصلت إلى المنزل ووجدت أمي في انتظاري وأخدتها وذهبنا معًا للطبيب.

لا أعرف كيف وصلت، ولا كيف صعدت، وعندما نظر إليّ الطبيب سألني: «ماذا بك؟ سلامتك، دعيني أطمئن عليكِ»، فبادر بقياس ضغط الدم، وتابع بدوره نبضات قلبي، وفي لحظة وأمي لا تعرف ما بي وترقبني من بعيد، غبت عن الوعي، وقام الطبيب بإفاقتي وطمأنة والدتي، وما إن فتحت عيني، وجدت أمي والدموع قد غسلت وجهها وفاضت.

عيناها تسألني ماذا حدث يا حبيبتي؟ أنتِ سندي، من أوهنَكِ، عيناها تتحدثان وأنا أفهم ما تقول لكنني لا أعرف بماذا أجيب، فحديث العيون لمن يفهم يكفي، وانتظرنا في عيادة الطبيب ساعة ربما أكثر.

رنين هاتفي يكاد لا ينقطع، اطمأنّ الطبيب على حالتي وطالبني بأن أستريح، وأنه يفضل أن أحصل على إجازة من عملي، خاصة أنني لم أجد ردًّا على أسئلته إلا بأن ما بي نتيجة ضغط عمل، صاحبه إهمال في تناول الوجبات وغير ذلك.

واطمأنّ على والدتي، وخرجنا من حجرة الكشف، وما أن نزلنا لنستقل سيارتي، وجدته منتظرًا.

أجاد تمثيل أنها الصدفة التي أوجدته هنا، هذا طبعًا أمام والدتي وصافحها، واطمأنّ عليها، وعرض تقديم المساعدة، وشكرتُه أنا وأمي، لكنها دعته لزيارتنا، وقال إنه سيأتي ليطمئن على صحّتها، وعُدنا أنا وأمي إلى المنزل.

لكن قلق أمي عليَّ مازال واضحًا، هي لا تعرف، لكنها بذكاء الأم والأنثى كانت تلاحظ عليَّ في فترات السعادة وصفي له، وكيف أنه رجل محترم ومهذّب وكيف وكيف، وكيف اختفى ذكره وبدا حزني لعدة شهور، واليوم وهو أمامي، لِم لم ترتسم البسمة على شفتيّ؟ ولِم لم تلمع عيناي كما كنت سابقًا؟ لاحظَتْ أمي وتنتظر التفسير.

لم أتحدّث ودخلت غرفتي لأبدّل ملابسي وعيناي تزوغان من أمامها، حتى لا ترى ما بي من انكسار، الغريب أن الدموع جفت بعيني، وكأنها تحجّرت، فلا بكاء وإنما قهر، وحزن غير معهود عليَّ.

والدتي تتابع من بعيد، وهي تعلم أني لا أشكو، فقد اعتدت الاحتمال، وعرفت كيف أحيا وحدي، وكيف أعتمد على نفسي في كل صغيرة وكبيرة، فأنا امرأة بلا زوج أو أخ أو ابن أو أب، بل أنا وحدي ومسئولة عن والدتي.

أمّا أختي فلها حياتها وأولادها، لا أعتمد عليها في شيء، إلا إذا تطلّب عملي السفر خارج البلاد أو خارج القاهرة؛ فأنا أعمل بوزارة الخارجية.

وكعادتي لا أتحدث كثيرًا؛ فأختي إن حدّثتها ستخبر أمي والعكس، وربما تتدخلان في قرار سآخذه وحدي، وقد أعلنته، وأهم عيوب يُرفض من أجلها الرجل «الكذب والبخل والإدمان» وقد بدأ بالكذب، وفي ماذا؟ في حياته الخاصة، له زوجة وأبناء، له حياة.

لِم التفَّ حولي؟ أنا من سعدت به، أنا من أحتاجه لينتشلني من وحدتي، أنا من أحتاج لحواره ولضمة صدره ليحتويني ويشعرني أن بجانبي حبيب، يشعرني بالأمان، لكنه ضاعف آلامي، لا هو احتواني ولا هو أمّنني، بل عذبني وقهرني وشجَّ صدري وفطر قلبي.

ونمت ليلتي لا أعرف كيف نمت، وكعادتي استيقظت في الصباح لأذهب لعملي وأنسى؛ فالعمل غالبا ما يلهيني عن همومي؟ ونزلت إلى عملي وأمضيت يومي، واطمأننت على والدتي كعادتي، فقد اتّصلت بها لأذكرها بمواعيد دوائها وضرورة الحصول على وجباتها، وكعادتي ماذا أحضر معي عند عودتي، طلبت مني إحضار بعض الجاتوهات والعصائر لأنها تشتهيها.

أحضرت ما طلبته أمي، وعدت للمنزل وفتحَتْ لي أمي الباب، لأنني أحمل ما طلبته، فعادتي عندما تكون يداي لا تحملان شيئا أفتح الباب بنفسي، حتى لا أتعبها، وعندما دخلت، قالت لي: لدينا ضيوف

قلت: من؟

قالت: المهندس أحمد صفوت

قلت: لماذا حضر؟

قالت: ادخلي فقط وستعرفين كل شيء

دخلت وحييته ونهض ليصافحني، وأنا في حيرة من أمره، لِم حضر؟

لكني لاحظت الابتسامة على وجه أمي والسعادة في قسماتها، تُنبئ بما حدث بينهما وذهبت أمي لإحضار الجاتوه والعصير، لتقديمه لأحمد.

وما إن خرجت من أمامنا، بادرني بحلو حديثه الذي افتقدته كثيرًا وأتوق لسماعه، إنه يفتقدني، ويحبني ويعتذر، وأهم اعتذار لديه أنه تقدم لخطبتي وطلب يدي من أمي، كيف وأنت متزوج ولديك أبناء.

نعم، لكنك لا تعرفين ما بداخل الصورة التي رسمتيها، فزوجتي مريضة، لا تقدر على أبسط الأشياء وهو الحركة، وهي في بيتي معزّزة مكرّمة، وقد وفّرت لها من يساعدها في كل شيء، وفي رعاية أبنائنا، ولا تطلب مني أيّ شيء، ولا أقصر في احتياجاتها، وأبذل قصارى جهدي في عملي لأوفر المال لمتطلبات أسرتي.

وأنا مَن أنا في هذه الحياة؟!

أنتِ حبيبتي، أنتِ النافذة التي عدت إلى الحياة من خلالها، أنتِ من أيقظتِ القلب وحاورتِ العقل، ما أخفيت عنك هذا إلا خوفًا من أن أفقدك

وماذا بعد؟!

لقد طلبت خطبتك من والدتك، وإن وافقتِ سنتزوج ولكِ ما تطلبين وما تشترطين، دون جدال، فقط اقبلي، فقد ضيعنا من العمر سنينا، وما بقي به قدر ما ضاع، دعينا ننعم بما تبقى لنا. فحاورت قلبي:

يا قلبي أأسامح وأصفح؟

إنه حبيبك تمنيته وقد اعتذر

لقد كذب وخادع

منعه حبه من أن يصارحك

سامحي؛ كم حلمتِ به

حقّقي الحلم وانتصري لحبك

رفع رايته وأسلم مفاتيحه

أدخليه وأوصدي الباب عليه

بدأت الغيمة في الزّوال من عيني، وماذا بعد؟ أطلبي اشترطي ما تودّين، إنه الحب، إنه حبيبك، أعلنَها أمام الجميع إنه يريدك، إنه سيفعل ما تأمرين به، لم يعد حبه سرًّا، طلب الزواج وجاء بلهفة الحبيب يداوي جرح الفراق.

حوار مع قلبي صاحَبَه حوار مع حبيبي، اقنعي ارضي، إنه الأمل وقد عاد طالبا الصفح، إنه أسيرك افعلي به ما شئتِ، وهو يعلن أنه لن يتخلّى عنك وأنه لن يتنازل عن حبه، وأن بُعده عني كاد يقتله، إنه انتظر حتى أهدأ ليحاورني ويؤكّد إنه يحبني، إن لم يظفر بي، سأكون قاتلته، ارضي،

أيغضبك أن تكوني زوجة ثانية؟، إنه مثلك سيكون زوجا ثانيا، أيغضبك أنه أخفى عنك زيجته؟، إنه لم يكن يعلم أنك أرملة في البداية، سامحي، لأول مرة في حياتي يوافق عقلي على حوار قلبي، إنه يدفعني نحوه، دقائق اشتدّ فيها الحوار بين عقلي وقلبي، إلى أن حضرت أمي، وأسكتت الحوار، أهلا بك، مرحبًا

أهلا بحضرتك يا ماما.

إنه يناديها يا ماما، أنا لم أوافق بعد على هذا الارتباط، إنها مصيدة تمّ حبْكها حولي، الكل يعلن موافقته!

فقد دخلَتْ أختي لتهنّأني، مبروك، الكل يعلم إلا أنا

لا أكذبكم القول أن قلبي الذي كاد يتوقّف بالأمس من الحزن والألم، اليوم رفرف بجناحيه عليَّ وعلى أمي وأختي وزوجها وعلى حبيبي، كيف استطاع أن يقنع الجميع، أعرفه جيدًا فهو ذو فكر منطقي، يجيد الحوار، وذو حجة للإقناع، هذا أول ما جذبني له، ذكيّ ولمّاح، لقد لمح في عيني الرضا.

أخرج من جيبه علبة بها خاتم الزواج ودبلته، إنه يعرف مسبقًا أني سأوافق، أأرفض وأحبط حيلته؟ كيف وقد جرى الدم بشرياني وتحوّلت وجنتيّ لباقة زهور حمراء، وعلَت البسمة شفتيّ، وعاد لعيني البريق، إنه فعل كل ما يرضيني

أعلنها أني استسلمت وقبلت، وعقلي يتمنّى أن تكون كذبته التي فرّقتنا آخر كذبة، وعاد الحب بيننا إلى مساره الذي تمنيته، بصحبة حبيب فضّلته على كل من حولي، علّها تكتمل ويتوقف عقلي عن تفقده ويقنعه أننا بشر، وجميعنا خطّاء، فالحب يصنع المعجزات.

MH

فهرس المحتويات

إهداء 5
لحظة اعتذار 7
قُبلة الوداع 15
الجنة المزعومة 18
رحيل البسمة 24
بائعة المناديل 39
حبيب القلب 42
سوف أحيا 49
عودي هاميس 52
سأعلن قراري 55
الكابوس 58
الحالمة 61
الندم 67
زقزقة العصافير 71
وجوه 75
سيدة النادي 77
«أوتو ستوب» 58
كان حبيبي يومًا ما 88
هذه قصتي 91